الهدى والضلال
على ضوء الثقلين

بقلم
السيّد عادل العلوي

العلوي، السيّد عادل، ١٩٥٥ ــ
الهدى والضلال على ضوء الثقلين / تأليف السيّد عادل العلوي. ــ قم : المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٤٢٢ ق. = ٢٠٠١ م. = ١٣٨٠.
١٠٤ ص. ــ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 5915 - 60 - 0 - ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دوره).
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربى.
كتابنامه : به صورت زيرنويس.
١. هدايت ــ جنبه‌هاى قرآنى. ٢. گمراهى ــ جنبه‌هاى قرآنى. ٣. هدايت ــ احاديث. ٤. گمراهى ــ احاديث. الف. مؤسسه اسلامى تبليغ و ارشاد. ب. عنوان.
٨ع ٤ هـ / ١٠٤ BP ١٥٩ / ٢٩٧
كتابخانهٔ ملى ايران
محل نگهدارى ٩٢٨٧ ــ ٨٠م

موسوعة
رسالات إسلامية

كتاب
الهدى والضلال على ضوء الثقلين
تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامّة للتبليغ والإرشاد
الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هـ ق = ١٣٨١ هـ ش = ٢٠٠٢ م
التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم
الكمية ـ ١٠٠٠ نسخة

شابك ٠ ـ ٦٠ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ ISBN 964 - 5915 - 60 - 0
اى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٦٠٣ EAN 9789645915603
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

الهدى والضلال على ضوء الثقلين

الحمد لله هادي السُّبل، والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والرسل، محمّد المصطفى الأمين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

المقصود من هذا البحث (الهدى والضلال) وإثارته مرّة أُخرى، هو زيادة العلم والمعرفة، وتسليط الضوء على المفاهيم الإسلامية في ثوبها الجديد، وتحديد المواقف تجاه الحوادث الواقعة والأحكام الصادرة.

فمن المهتدي ومن الضالّ؟

قبل أن نقف على الجواب لا بدّ من إلقاء نظرة عامة حول مفهوم الهداية وما يقابلها من الضلال بلحاظ المعنى اللغوي أوّلاً، ثمّ المعنى الاصطلاحي الذي ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة (السنّة: أي قول المعصوم وفعله وتقريره)، فإنّهما مصدر ثقافتنا والتشريع الإسلامي، وبهما يتّضح المعنى المراد من الهداية والضلال في قاموس الإسلام.

وقد جاءت كلمة الهداية ومشتقّاتها في القرآن الكريم في (٣١٦) موضعاً،

وكلمة الضلال في (١٨٩) موضعاً، نشير إلى نبذة منها من خلال البحث، والله المستعان.

الهداية لغةً واصطلاحاً

الهداية مصدر هدى يهدي هُدىً وهَدياً وهِديةً، والهداية بمعنى الإرشاد، وهو ضدّ الضلال. وبمعنى البيان يقال: هداه الطريق وهداه إلى الطريق وللطريق، أي بيّنه له وعرّفه به، ويأتي بمعنى التقدّم فيقال: هداه فلاناً، أي تقدّمه، وبمعنى العرفان، فاهتدى الطريق أي عرف الطريق، وبمعنى الطريقة والسيرة، فيقال: ما أحسن هديه، أي سيرته، وهدى هديه: أى سار سيرته وطريقته، فالهدي: الرشاد والبيان والدلالة، يؤنّث ويذكّر فيقال هو على الهدى أي على الرشاد.

والهداية: دلالة بلطف، ومنه الهدية. فإذا كان بإعطاء يقال أهديت، وإذا كان بدلالة فيقال: هديت.

وإذا قيل: كيف جعلت الهداية دلالةً بلطف وقد قال الله تعالى:

﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الجَحِيمِ ﴾[1].

---

(١) الصافات: ٢٣.

و ﴿ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾[١].

فقيل : ذلك من باب المبالغة فاستعمل فيه استعمال اللفظ على التهكّم مبالغة في المعنى كقوله :

﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٢].

ثمّ الهداية إمّا بمعنى إراءة الطريق أو الإيصال إلى المطلوب. توضيح ذلك بالمثال : إذا سألك شخص عن دار شخص وأردت هدايته، فإمّا أن تعطيه عنوان الدار، كما لو قلت : شارع كذا زقاق كذا رقم الدار كذا، وإمّا أن تأخذه بيده وتوصله إلى الدار، فالأوّل إراءة الطريق، والثاني الإيصال إلى المطلوب.

وتنقسم باعتبار آخر إلى الهداية التكوينية، ومنها الغرائز الحيوانية كأخذ الطفل ثدي أُمّه، وإلى الهداية التشريعية من الأوامر والنواهي الإلهيّة.

وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه :

الأوّل : الهداية التي عمّ بجنسها كلّ مكلّف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية، التي أعمّ منها كلّ شيء بقدرٍ فيه حسب احتماله، كما قال سبحانه :

﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾[٣].

الثاني : الهداية التي جعل للناس بدعائه إيّاهم على ألسنة الأنبياء وإنزال

(١) الحجّ : ٤.

(٢) آل عمران : ٢١.

(٣) طه : ٥٠.

القرآن ونحو ذلك، وهو المقصود بقوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾[١].

الثالث : التوفيق الإلهي الذي يختصّ به من اهتدى وهو المعني بقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً ﴾[٢].

وقوله سبحانه :

﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾[٣].

وقوله :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾[٤]،

وقوله :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٥].

﴿ وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً ﴾[٦].

﴿ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٧].

(١) السجدة : ٢٤.

(٢) محمّد صلى الله عليه وآله : ١٧.

(٣) التغابن : ١١.

(٤) يونس : ٩.

(٥) العنكبوت : ٦٩.

(٦) مريم : ٧٦.

(٧) البقرة : ٢١٣.

﴿ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[١].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنّة المعنى بقوله:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾[٢].

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾[٣].

إلى قوله تعالى:

﴿ الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾[٤].

ثمّ لا يخفى أنّ الهداية كلّي مقول بالتشكيك، كالوجود والنور، فلها مراتب طوليّة وعرضيّة.

فهذه الهدايات الأربع مترتّبة، فإنّه من لم تحصل له الأُولى لا تحصل له الثانية، بل لا يصحّ تكليفه، فمن لا عقل له كيف يدعوه النبيّ إلى التكليف، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، فإنّ التوفيق الإلهي حليف من أطاعه واهتدى بهدي الأنبياء والأوصياء، ومن لم يوفّق كيف يدخل الجنّة، فإنّ السعيد من أصاب التوفيق الإلهي، والذين سعدوا ففي الجنّة هم فيها خالدون، ومن الواضح أنّ من حصل المرتبة الرابعة فإنّه قد حصل من قبل على المراتب الثلاث.

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) محمّد صلى الله عليه وآله: ٥.

(٣) الأعراف: ٤٣.

(٤) الأعراف: ٤٣.

ثمّ الإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلّا بالدعاء وتعريف الطرق، أو بعبارة أُخرى: بإراءة الطريق والإيصال إلى المطلوب، دون سائر أنواع الهدايات.

وإلى الأوّل: أي الدعاء وتعريف الطرق أشار بقوله سبحانه:

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[١].

﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾[٢].

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[٣].

أي داعٍ.

وإلى الثاني: أي سائر الهدايات أشار بقوله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[٤].

وكلّ هداية منعها الله عن الظالمين والكافرين فهي من القسم الثالث، أي التوفيق الذي يختصّ به المهتدون، وكذلك الرابعة التي هي الجنّة ومقدّماتها من الثواب والأجر، ومنه قوله تعالى:

﴿ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٥].

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) الأنبياء: ٧٣.

(٣) الرعد: ٧.

(٤) القصص: ٥٦.

(٥) البقرة: ٢٥٨.

الكَافِرِينَ ﴾[١].

والهداية التي نفاها الله عن النبيّ وعن البشر، وذكر سبحانه أنّهم غير قادرين عليها، فهي ما عدا الهداية المختصّة من الدعاء وتعريف الطريق، كإعطاء العقل والتوفيق وإدخال الجنّة، كقوله تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[٢].

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى ﴾[٣].

﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ العُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ ﴾[٤].

﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾[٥].

﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[٦].

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ﴾[٧].

﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[٨].

وإلى هذا المعنى أشار بقوله تعالى:

(١) النحل: ١٠٧.

(٢) البقرة: ٢٧٢.

(٣) الأنعام: ٣٥.

(٤) النمل: ٨١.

(٥) النحل: ٣٧.

(٦) الرعد: ٣٣.

(٧) الزمر: ٣٧.

(٨) القصص: ٥٦.

﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[١].

وقوله تعالى:

﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِي ﴾[٢].

أي طالب الهدى ومتحرّيه هو الذي يوفّقه ويهديه إلى طريق الجنّة، لا من ضادّه فيتحرّى طريق الضلال والكفر كقوله:

﴿ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ ﴾[٣].

وقوله:

﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[٤].

فالكاذب والكفّار هو الذي لا يقبل هداية الله، ومن لم يقبل هدايته كيف يهديه. فمن رغب عنّي لم أرغب فيه، ومن لم يقبل هديتي لم أهدِ له، وعلى هذا النحو قوله تعالى:

﴿ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٥].

وقوله:

﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ﴾[٦].

(١) يونس: ٩٩.

(٢) الأعراف: ١٧٨.

(٣) البقرة: ٢٦٤.

(٤) الزمر: ٣.

(٥) البقرة: ٢٥٨.

(٦) يونس: ٣٥.

ثمّ في قوله تعالى :

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾[١].

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[٢].

﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ ﴾[٣].

إنّما هو إشارة إلى ما عرّف سبحانه وتعالى من طريق الخير والشرّ، وطريق الثواب والعقاب بالعقل والشرع، وكذلك في قوله تعالى :

﴿ فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ ﴾[٤].

﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[٥].

﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾[٦].

فهو إشارة إلى التوفيق المُلقى في الروع فيما يتحرّاه الإنسان، وإيّاه عنى بقوله عزّ وجلّ :

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً ﴾[٧].

والهداية والتعليم يستلزم أمرين : تعريفاً من المعرّف والدالّ، وتعرّفاً وقبولاً

(١) الدهر : ٣.

(٢) البلد : ١٠.

(٣) الصافات : ١١٨.

(٤) الأعراف : ٣٠.

(٥) القصص : ٥٦.

(٦) التغابن : ١١.

(٧) محمّد صلى الله عليه وآله : ١٧.

من المعرّف والقابل، وبعبارة أُخرى تكون الهداية باعتبار الفاعل وأُخرى باعتبار القابل، وبهما تتمّ الهداية والتعليم، فمتى ما حصل البذل من الهادي والمعلّم، ولم يحصل القبول صحّ أن يقال لم يهدِ ولم يعلّم، باعتبار عدم قبول الهداية، كما يصحّ أن يقال هدى وعلّم اعتباراً ببذله وتعليمه، فإذا كان كذلك صحّ أن يقال إنّ الله تعالى لم يهدِ الكافرين والفاسقين من حيث إنّه لم يحصل القبول الذي هو من تمام الهداية والتعليم، وصحّ أن يقال هداهم وعلّمهم من حيث أنّه حصل البذل منه سبحانه الذي هو مبدأ الهداية، فيصحّ على الاعتبار الأوّل أن يحمل قوله تعالى :

﴿ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[١].

كما يحمل على الثاني قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى ﴾[٢].

ثمّ الهدى والهداية لغةً بمعنى واحد، لكن قد خصّ الله عزّ وجلّ لفظة (الهدى) بما تولّاه وأعطاه واختصّ هو به دون ما هو إلى الإنسان ومنه قوله تعالى :

﴿ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٣].

﴿ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ ﴾[٤].

(١) البقرة : ٢٥٨.

(٢) فصّلت : ١٧.

(٣) البقرة : ٢.

(٤) البقرة : ٥.

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ ﴾[١].

﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى ﴾[٢].

﴿ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٣].

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى ﴾[٤].

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلالَةَ بِالهُدَى ﴾[٥].

والاهتداء يختصّ بما يتحرّاه الإنسان على طريق الاختيار مطلقاً إمّا في الأُمور الدنيوية أو الأُخرويّة. قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا ﴾[٦].

وقال:

﴿ إِلَّا المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴾[٧].

ويقال ذلك لطلب الهداية نحو:

﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَالفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٨].

(١) البقرة: ٣٨.

(٢) البقرة: ١٢٠.

(٣) آل عمران: ١٣١.

(٤) الأنعام: ٣٥.

(٥) البقرة: ١٦.

(٦) الأنعام: ٩٧.

(٧) النساء: ٩٨.

(٨) البقرة: ٥٣.

وقال:

﴿ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[١].

﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾[٢].

﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوا ﴾[٣].

ويقال في المحاورات العرفية (المهتدي) لمن يقتدي بعالم نحو:

﴿ أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ ﴾[٤].

تنبيهاً أنّهم لا يعلمون بأنفسهم ولا يقتدون بعالم، وقوله تعالى:

﴿ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[٥].

فإنّ الاهتداء ها هنا يتناول وجوه الاهتداء من طلب الهداية ومن الاقتداء بعالم، ومن تحرّيها. وكذا قوله تعالى:

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴾[٦].

وقوله:

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى ﴾[٧].

(١) البقرة: ١٥٠.

(٢) آل عمران: ٢٠.

(٣) البقرة: ١٣٧.

(٤) البقرة: ١٧٠.

(٥) يونس: ١٠٨.

(٦) النمل: ٢٤.

(٧) طه: ٨٢.

فمعناه ثمّ أدام طلب الهداية، ولم تفتر عن تحرّيه وطلبه، ولم يـرجـع إلى المعصية. وقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[1].

أي الذين تحرّوا هداية الله وقبلوها وعملوا بها[2].

(١) البقرة: ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٢) اقتباس من مفردات الراغب: ٥٣٩.

الهداية العامّة والخاصّة

ثمّ الهداية كما ذكرنا على نحوين: فإمّا أن تكون تكوينيّة تتعلّق بكلّ شيء خلقه الله سبحانه، فإنّه في جوهره وذاته يهديه إلى خالقه وبارئه، فإلى الله تصير الأُمور، ويرجع إليه كلّ شيء، وما من شيء إلّا ويسبّح بـحمده، فـهذا التسـبيح التكويني إنّما هو بهداية الله سبحانه بهداية تكوينية، وتسـمّى بـالهدايـة العـامّة الإلهيّة، ومنها جواب كليم الله موسى بن عمران عليه السلام في دعوته فـرعون إلى الله سبحانه، فيسأل فرعون موسى وهارون قائلاً:

﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا ﴾[1].

فأجاب موسى كما في قوله تعالى:

﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾[2].

وسياق الآية الشريفة (سؤال وجواب) يـعطي أنّ (خـلقه) بـمعنى اسـم

(١) طه: ٤٩.

(٢) طه: ٥٠.

المصدر، والضمير فيه يرجع للشيء، فالمراد الوجود الخاصّ بالشيء.

والهداية بمعنى إراءة الطريق أو الإيصال إلى المطلوب، أي إراءة الشيء الطريق الموصل إلى مطلوبه، أو إيصاله إلى مطلوبه، ويعود المعنيان في الحقيقة إلى معنى واحد، وهو نوع من إيصال الشيء إلى مطلوبه، إمّا بإيصاله إليه نفسه أو إلى طريقه الموصل إليه.

وقد أطلق الهداية من حيث المهدي والمهدي إليه، ولم يسبق في الكلام إلّا الشيء الذي أُعطي خلقه، فالظاهر أنّ المراد هداية كلّ شيء ـ المذكور قبلاً ـ إلى مطلوبه المستودع فيه، وهو الغاية التي يرتبط بها وجوده وينتهي إليها، والمطلوب هو مطلوبه من جهة خلقه الذي أُعطيه، ومعنى هدايته له إليها، تسييره نحوها، كلّ ذلك بمناسبة البعض للبعض.

فيؤول المعنى إلى إلقائه الرابطة بين كلّ شيء بما جهّز به واستودع في وجوده من القوى والآلات، وبين آثاره التي تنتهي به إلى غاية وجوده، بالجنين من الإنسان مثلاً ـ وهو نطفة مصوّرة بصورته ـ مجهّز في نفسه بقوى وأعضاء تناسب من الأفعال والآثار ما ينتهي به إلى الإنسان الكامل في نفسه وبدنه، فقد أُعطيت النطفة الإنسانية بما لها من الاستعداد خلقها الذي يخصّها وهو الوجود الخاصّ بالإنسان، ثمّ هديت وسيّرت بما جهّزت به من القوى والأعضاء نحو مطلوبها، وهو غاية الوجود الإنساني والكمال الأخير الذي يختصّ به هذا النوع.

ومن هنا يظهر معنى عطف قوله: (هدى) على قوله ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾ بـ(ثمّ) وأنّ المراد التأخّر الرتبي، فإنّ سير الشيء وحركته بعد وجود

رتبة، وهذا التأخّر في الموجودات الجسمانية تدريجي زماني بنحو من الأنحاء.

وظهر أيضاً أنّ المراد بالهداية الهداية العامّة الشاملة لكلّ شيء دون الهداية الخاصّة بالإنسان ـ والتي تسمّى بالهداية الخاصّة ومنها الهداية التشريعية ـ وذلك بتحليل الهداية الخاصّة وتعميمها بإلقاء الخصوصيات، فإنّ حقيقة هداية الإنسان بإراءته الطريق الموصل إلى المطلوب، والطريق رابطة القاصد بمطلوبه، فكلّ شيء جهّز بما يربطه بشيء ويحرّكه نحوه فقد هدي إلى ذلك الشيء، فكلّ شيء مهديّ نحو كماله بما جهّز به من تجهيز، والله سبحانه هو الهادي.

فنظام الفعل والانفعال في الأشياء ـ وإن شئت فقل: النظام الجزئي الخاصّ بكلّ شيء، والنظام العامّ الجامع لجميع الأنظمة الجزئية من حيث ارتباط أجزائها وانتقال الأشياء من جزء منها إلى جزء ـ مصداق هدايته تعالى، وذلك بعناية أُخرى مصداق لتدبيره، ومعلوم أنّ التدبير ينتهي إلى الخلق، بمعنى أنّ الذي ينتهي وينسب إليه تدبير الأشياء هو الذي أوجد نفس الأشياء، فكلّ وجود أو صفة وجود ينتهي إليه ويقوم به. وإنّما أثبت في الكلام الهداية دون التدبير مع كون موردهما متّحداً، لأنّ المقام مقام الدعوة والهداية، والهداية العامّة أشدّ مناسبة له.

ثمّ قوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾[1] يشتمل على البرهان بأنّ كونه تعالى ربّ كلّ شيء، ولا ربّ غيره جلّ جلاله، فإنّ خلقة الأشياء وإيجاده لها يستلزم ملكه لوجوداتها ـ لقيامها به ـ وملك تدبير أمرها،

(١) طه: ٥٠.

وهذا معنى الربوبيّة المطلقة لله سبحانه.

وعند هذا يظهر: أنّ الكلام على نظمه الطبيعي، والسياق جارٍ على مقتضى المقام، فإنّ المقام مقام الدعوة إلى التوحيد وطاعة الرسول، وقد أتى فرعون بعد استماع كلمة الدعوة بما حاصله التغافل عن كونه تعالى ربّاً له، وحمل كلامهما على دعوتهما إلى ربّهما، فسأل: من ربّكما يا موسى؟ فكان من الحريّ أن يجاب بأنّ ربّنا هو ربّ العالمين ليشملهما وإيّاه وغيرهم جميعاً، فأُجيب بما هو أبلغ من ذلك فقيل: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾[1] فأُجيب بأنّه ربّ كلّ شيء، وأُفيد مع ذلك البرهان على هذا المدّعى، ولو قيل: ربّنا ربّ العالمين أفاد المدّعى فحسب دون البرهان والدليل، فافهم ذلك[2].

واعلم أنّ الهداية في القرآن تقع على وجوه:

أحدها ـ أن تكون بمعنى الدلالة والإرشاد وهذا عامّ لجميع المكلّفين، ولو لم يفعل ذلك لكان كلّفهم بما لا يطاق، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾[3].

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾[4].

﴿ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً ﴾[5].

(١) طه: ٥٠.

(٢) تفسير الميزان؛ السيّد الطباطبائي قدس سره ١٤: ١٦٦.

(٣) النجم: ٢٣.

(٤) الدهر: ٣.

(٥) البقرة: ١٨٥.

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1].

وما أشبه ذلك.

ثانيها ـ زيادة الألطاف التي بها يثبت على الهدى:

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً ﴾[2].

ثالثها ـ الإثابة:

﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[3].

وهذه الوجوه الثلاثة خاصّة بالمؤمنين دون غيرهم...

رابعها ـ الحكم بالهداية:

﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ﴾[4].

خامسها ـ جعل الإنسان مهتدياً بأن يخلق الهداية فيه[5]، كما يجعل الشيء متحرّكاً بخلق الحركة فيه، والله تعالى يفصل العلوم الضرورية في القلوب فذلك هداية منه تعالى، وهذا الوجه عام لجميع العقلاء كالوجه الأوّل، فأمّا الهداية التي كلّف الله تعالى العباد فعلها كالإيمان به وبأنبيائه وغير ذلك فإنّها من فعل العباد، ولذلك يستحقّون عليها المدح والثواب، وإن كان الله سبحانه قد أنعم عليهم بدلالتهم على ذلك وإرشادهم إليه، ودعاهم إلى فعله، وتكليفهم إيّاه وأمرهم به،

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) محمّد صلى الله عليه وآله: ١٧.

(٣) يونس: ٩.

(٤) الأعراف: ١٧٨.

(٥) سفينة البحار ٨: ٦٣٨.

فهو من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم. ومنّة واصلة إليهم، وفضل منه وإحسان لديهم، فهو مشكور، على ذلك محمود، إذ فعله بتمكينه وألطافه وضروب تسهيلاته ومعوناته.

وفي قوله تعالى:

﴿ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1].

إنّ المراد به البيان والدلالة، أو يهديهم باللطف فيكون خاصّاً بمن علم من حاله أنّه يصلح به، أو يهديهم إلى طريق الجنّة...[2].

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) بحار الأنوار ٥: ١٧٢.

الهداية في الأحاديث الشريفة

بعد أن وقفنا مختصراً على مفهوم الهداية لغةً واصطلاحاً، وأشرنا إلى مجموعة من الآيات الكريمة في القرآن المجيد، وعرفنا مراتب الهداية وأقسامها، وبعض معالمها، فلا بأس أن نخوض فيها مرّة أُخرى إلّا أنّه من خلال الأحاديث الشريفة والروايات المرويّة عن الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته الأئمة الأطهار عليهم السلام لنزداد بصيرة ووضوحاً، ثمّ نتعرّض إلى بحث الضلال أيضاً، لتعمّ الفائدة، ويتمّ المطلوب.

فما ورد في الأخبار الشريفة في الغالب إنّما يقصد منها الهداية الخاصّة والتشريعية والتي تتعلّق بالإنسان، فإنّه أشرف خلق الله، وقد تمدّح الله بخلقه في قوله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾[1].

وإنّه يحمل الروح الإلهية: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾[2].

فهو الكائن الحيّ الذي سخّر الله له ما في السماوات والأرض، ليكون خليفته ووليّه في الكائنات، ليحمل علمه، وليظهر قدرته، وتتجلّى فيه الأسماء

(١) المؤمنون: ١٤.

(٢) الحجر: ٢٩.

الحسنى والصفات العليا، فهداه بكلّ ما للهداية من معاني ومراتب.

لقد أنزل الكتب وأرسل الرسل وبعث الأنبياء وأعطى العقل، وهدى الإنسان في كلّ العوالم الملكوتية والناسوتية، ليكون خليفته وحجّته في الأرض.

إلّا أنّ الإنسان باختيار: إمّا أن يشكر الله سبحانه على هذه النعم التي لا تعدّ ولا تحصى، وإمّا أن يكفر بالله ويجحد بنِعمه وآلاءه جلّ جلاله.

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾[1]

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[2].

والطريقين: طريق الخير والجنّة، وطريق الشرّ والنار.

وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام يقول:

«هدى الله أحسن الهدى».

«أفضل الذخر الهدى».

«بالهدى يكثر الاستبصار».

«ليكن شعارك الهدى».

«ولقد بُصّرتم إن أبصرتم، وأُسمعتم إن سمعتم، وهُديتم إن اهتديتم».

«واقتدوا بهدي نبيّكم فإنّه أفضل الهدى، واستنّوا بسنّته فإنّها أهدى السنن».

«رحم الله امرئً سمع حكماً فوعى، ودُعي إلى رشاد فدنا، وأخذ بحجرة هادٍ فنجا».

«عباد الله إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه فاستشعر

(١) الدهر: ٣.

(٢) البلد: ١٠.

الحزن وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه... فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى».

«أيّها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله، فإنّ الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير، وجوعها طويل».

«اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أفتقر في غناك أو أُضلّ في هداك».

ويقول عليه السلام في صفة النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله:

«فهو إمام من اتّقى، وبصيرة من اهتدى».

«بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنّمتم ذروة العلياء».

«فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُدي وهَدى، فأقام سنّة معلومة، وأمات بدعة مجهولة».

وقد خاطب الله سبحانه عباده المؤمنين أن يستجيبوا له ولرسوله لما يحييهم كما في قوله تعالى: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[1].

والهداية من الحياة، فإنّه لمّا سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾[2]، قال عليه السلام: من أخرجها من ضلال إلى هدى فكأنّما أحياها، ومن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها.

وعن مولانا الباقر عليه السلام في تفسيرها: من حرق أو غرق، قلت: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى؟ قال: ذاك تأويلها الأعظم.

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألته عن قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾؟ قال: من استخرجها من الكفر إلى الإيمان.

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) المائدة: ٣٢.

فالعمدة في الحياة هي الهداية لمعرفة الحقّ واتّباعه والأخذ به على كلّ حال، وإنّما يعرف ثمن الهداية من الأجر والثواب الذي وضعه الله للهادي، فكيف بالمهتدي.

قال رسول الله ﷺ لعليّ لمّا بعثه إلى اليمن: يا عليّ، لا تقاتلنّ أحداً حتّى تدعوه، وأيم الله لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي.

وعنه ﷺ لرجل سأله أن يوصيه: أُوصيك أن لا تشرك بالله شيئاً... وادعُ الناس إلى الإسلام، واعلم أنّ لك بكلّ من أجابك عتق رقبة من ولد يعقوب.

وقال ﷺ: من يشفع شفاعة حسنة، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو دلّ على خير، أو أشار به، فهو شريك، ومن أمر بسوء أو دلّ عليه، أو أشار به فهو شريك.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: لا يتكلّم الرجل بكلمة حقّ يؤخذ بها، إلّا كان له مثل أجر من أخذ بها، ولا يتكلّم بكلمة ضلال يؤخذ بها، إلّا كان عليه مثل وزر من أخذ بها.

روي أنّ داود عليه السلام خرج مصحراً منفرداً ـ أي خرج إلى الصحراء منفرداً ـ فأوحى الله إليه: يا داود، ما لي أراك وحدانياً؟ فقال: إلهي اشتدّ الشوق منّي إلى لقائك، وحال بيني وبين خلقك، فأوحى الله إليه: ارجع إليهم، فإنّك إن تأتني بعبد آبق أُثبتك في اللوح حميداً.

والهداية من الله سبحانه، كما قال النبيّ الأعظم محمّد ﷺ: قال الله جلّ جلاله: عبادي كلّكم ضالّ إلّا من هديته، وكلّكم فقير إلّا من أغنيته، وكلّكم مذنب إلّا من عصمته.

والهداية وإن كانت من الله سبحانه إلّا أنّ الإنسان له دور مهمّ للتوفيق

ولنيلها، فهو باختياره إمّا أن يكون شاكراً ومؤمناً بالله ومتّقياً، فهو من المهتدين، أو كافراً فهو من الضالين.

وأمّا الذين يهديهم الله سبحانه وتعالى فقد قال عزّ وجلّ: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١].

﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٢].

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾[٣].

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٤].

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ ﴾[٥].

عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، قال:

«من اهتدى بهدى الله أرشده».

«هُدي من أشعر التقوى قلبه».

«هُدي من تجلبب جلباب الدين».

«هُدي من ادّرع لباس الصبر واليقين».

«هُدي من أخلص إيمانه».

---

(١) التغابن: ١١.

(٢) البقرة: ٢.

(٣) الرعد: ٢٧.

(٤) آل عمران: ١٠١.

(٥) العنكبوت: ٦٩.

«هُدي من سلّم مقادته إلى الله ورسوله ووليّ أمره».

«الاستشارة عين الهداية».

«لا هداية كالذكر».

«من استرشد علم، من علم اهتدى، من اهتدى نجا».

«وإنّ لكم علماً فاهتدوا بعلمكم».

في أصناف المنكرين للمنكر: «ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق، ونوّر في قلبه اليقين».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: من اعتصم بالله عزّ وجلّ هدي.

وعنه عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة بيضاء، فجال القلب يطلب الحقّ، ثمّ هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره.

وأمّا الذين لا يهديهم الله بسوء اختيارهم وفعلهم فقد قال سبحانه وتعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ ﴾[2].

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَاسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ ﴾[3].

---

(١) القصص: ٥٠.

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) المنافقون: ٦.

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[1].

﴿ أَلا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[2].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: كيف يستطيع الهدى من يغلبه الهوى؟!

وعنه عليه السلام ـ من كتابه إلى معاوية ـ: أمّا بعد، فقد أتتني منك موعظة موصّلة... وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، قد دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتّبعه.

وقال عليه السلام في صفات الفسّاق: وآخر قد تسمّى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهّال، وأضاليل من ضلّال... فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتّبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه، وذلك ميّت الأحياء.

أجل: ﴿ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾[3].

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«القرآن أفضل الهدايتين». «هدى الله أحسن الهدى».

---

(١) المؤمن: ٢٨.

(٢) الزمر: ٣.

(٣) الإسراء: ٩.

«من انتصح لله واتّخذ قوله دليلاً، هداه للتي هي أقوم، ووفّقه للرشاد، وسدّده ويسّره للحسنى».

واعلم أنّ الهداية لها مظاهر وتجلّيات، ومرجعها إلى الله سبحانه فهو الهادي الحقّ، وهدايته تتجلّى تارة بكلامه المقدّس، وأُخرى بأنبيائه وأوليائه، فالقرآن كتاب هداية، وكذلك القرآن الناطق الرسول الأعظم وعترته الأطهار عليهم السلام، فكلّهم مصاديق بارزة للهداية، والذي يجمع الهدايات هو الولاية الإلهيّة المتبلورة بالحقيقة المحمّدية، والمتجلّية بولاية أهل البيت عليهم السلام، وإذا أراد الله بعبد خيراً هداه إلى ولايتهم عليهم السلام.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر إدخالاً.

وعن نباتة بن محمّد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً وكّل به ملكاً، فأخذ بعضده، فأدخله في هذا الأمر.

وعنه عليه السلام أنّه قال: كونوا دعاة الناس بأعمالكم، ولا تكونوا دعاةً بألسنتكم، فإنّ الأمر ليس حيث يذهب إليه الناس، إنّه من أخذ ميثاقه أنّه منّا فليس بخارج منّا ولو ضربنا خيشومه بالسيف، ومن لم يكن منّا ثمّ حبونا ـ أي أعطينا ـ له الدنيا لم يحبّنا[1].

قال العلّامة المجلسي في بيان الحديث الشريف. قوله عليه السلام: «ليس حيث يذهب إليه الناس» أي أنّهم لا يقدرون على هداية الناس بالاحتجاج عليهم، ولعلّ المقصود في تلك الأخبار زجر الشيعة عن المعارضات والمجادلات مع

(١) بحار الأنوار ٥: ١٩٨.

المخالفين بحيث يتضرّرون بها، فإنّهم كانوا يبالغون في ذلك ظنّاً منهم أنّهم يقدرون بذلك على هداية الخلق، وليس الغرض منع الناس عن هداية الخلق في مقام يظنّون النفع ولم يكن مظنّة ضرر، فإنّ ذلك من أعظم الواجبات.

قال أبو عبد الله الإمام الصادق عليه السلام: يا ثابت، ما لكم وللناس؟ كفّوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى أمركم، فوالله لو أنّ أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبداً يريد الله ضلالته ما استطاعوا أن يهدوه، ولو أنّ أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلّوا عبداً يريد الله هداه ما استطاعوا أن يضلّوه، كفّوا عن الناس ولا يقل أحدكم: أخي وابن عمّي وجاري، فإنّ الله إذا أراد بعبد خيراً طيّب روحه، فلا يسمع معروفاً إلّا عرفه، ولا منكراً إلّا أنكره، ثمّ يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره.

وقال عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خيراً نكت في قلبه نكتةً بيضاء فجال القلب يطلب الحقّ، ثمّ هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره.

عن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ القلب ينقلب من لدن موضعه إلى حنجرته ما لم يصب الحقّ، فإذا أصاب الحقّ قرّ. ثمّ ضمّ أصابعه وقرأ هذه الآية: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً ﴾[1].

عن معاذ بن كثير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي لا أسألك إلّا عمّا يعنيني ـ يهمّني ـ إنّ لي أولاداً قد أدركوا فأدعوهم إلى شيء من هذا الأمر؟ فقال: لا، إنّ الإنسان إذا خلق علوياً أو جعفرياً يأخذ الله بناصيته حتّى يدخله في هذا الأمر.

(١) الأنعام: ١٢٥.

عن عليّ بن عقبة، عن أبيه، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اجعلوا أمركم هذا لله، ولا تجعلوا للناس، فإنّه ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله، ولا تخاصموا الناس بدينكم، فإنّ الخصومة ممرضة للقلب، إنّ الله قال لنبيّه: يا محمّد، إنّك لن تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء، وقال: أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين، ذروا الناس، فإنّ الناس أخذوا من الناس، وإنّكم أخذتم من رسول الله وعليّ ولا سواء، إنّي سمعت أبي عليه السلام وهو يقول: إنّ الله إذا كتب إلى عبد أن يدخل في هذا الأمر ـ أي ولاية أهل البيت عليهم السلام ـ كان أسرع إليه من الطير إلى وكره.

فالهداية من الله، إذا كان العبد من أهلها بحسن فعله واختياره، بلا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين[1]، والله الهادي للصواب.

في نهج البلاغة، لمّا سئل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عن معنى قولهم: (لا حول ولا قوّة إلّا بالله) قال عليه السلام: إنّا لا نملك مع الله شيئاً ولا نملك إلّا ما ملّكنا، فمتى ملّكنا ما هو أملك به منّا كلّفنا، ومتى أخذه منّا وضع تكليفه عنّا.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: ما كلّ من نوى شيئاً قدر عليه، ولا كلّ من قدر على شيء وفّق له، ولا كلّ من وفّق لشيء أصاب له، فإذا اجتمعت النيّة والقدرة والتوفيق والإصابة، فهنالك تمّت السعادة[2].

هذه نظرة موجزة عن الهداية ومفهومها لغةً واصطلاحاً، وبيان أقسامها ومراتبها، وما ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

---

(١) لقد تعرّضت إلى تفصيل ذلك في كتاب (الحقّ والحقيقة بين الجبر والتفويض)، ورسالة (؟؟؟)، فراجع.

(٢) الروايات من بحار الأنوار ٥: ٢١٠.

نظرة في مفهوم الضلال

لقد ورد في النصوص الشريفة: أوّل ما خلق الله العقل، وقد خلقه من نوره على يمين عرشه، وجعل له جنوداً، ومن جنوده الهداية، كما خلق الجهل من الظلمة، وجعل له جنوداً، ومن جنوده الضلال، فالهداية والضلال متقابلان من الملكة وعدمها، أو من الضدّين.

فمن عرف الهداية عرف الضلال، فإنّه تعرف الأشياء بأضدادها، ولكن حبّذا أن نتعرّض لبحث الضلال لغةً واصطلاحاً، ولحاظ ذلك من خلال القرآن الكريم والسنّة الشريفة، كما وعدنا القرّاء الكرام ذلك من قبل، لزيادة العلم والمعرفة.

الضلال لغةً واصطلاحاً:

الضلال من ضلّ ضلالاً وضلالةً ضدّ اهتدى أي جار عن دين أو حقّ أو طريق، فهو ضالّ وجمعه ضُلّال وضالّون، وضلّ عن الطريق أو ضلّ الطريق أي لم يهتدِ إليه، وضلّ الشيء ضاع وذهب. فالضلال ضدّ الهدى وهو الباطل، ويأتي بمعنى الهلاك أيضاً.

فالضلال العدول عن الطريق المستقيم ويضادّه الهداية، قال تعالى:

﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[١].

ويقال: الضلال لكلّ عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً، فإنّ الطريق المستقيم الذي هو المرتَضى صعب جدّاً، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «استقيموا ولن تحصوا» وقال بعض الحكماء: كوننا مصيبين من وجهٍ، وكوننا ضالّين من وجوه كثيرة، فإنّ الاستقامة والصواب يجري مجرى المقرطس من المرمى، وما عداه من الجوانب كلّها ضلال.

ثمّ الضلال على نحوين:

الأوّل: ضلال في العلوم النظرية كالضلال في معرفة الله ووحدانيّته ومعرفة النبوّة، ونحوهما كالإمامة المشار إليها بقوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾[٢].

الثاني: ضلال في العلوم العملية كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات والمعاملات. والضلال البعيد هو الكفر كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً ﴾[٣].

وأمّا قوله تعالى: ﴿ أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ ﴾[٤]. فهو كناية عن الموت

(١) يونس: ١٠٨.

(٢) النساء: ١٣٦.

(٣) النساء: ١٦٧.

(٤) السجدة: ١٠.

واستحالة البدن.

وقوله: ﴿ وَلا الضَّالِّينَ ﴾[١] عنى به النصارى.

وقوله: ﴿ فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴾[٢]، أي لا يضلّ عن ربّي ولا يضلّ ربّي عنه، أي لا يغفله.

وقوله: ﴿ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾[٣]، أي في باطل وإضلال لأنفسهم.

والإضلال ضربان:

أحدهما: أن يكون سببه الضلال، وذلك على وجهين: إمّا أن يضلّ عنك الشيء كقولك: أضللت البعير، أي ضلّ عنّي، وأمّا أن تحكم بضلاله، والضلال في هذين سبب الإضلال.

والضرب الثاني: أن يكون الإضلال سبباً للضلال، وهو أن يزيّن للإنسان الباطل ليضلّ، كقوله:

﴿ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ﴾[٤].

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾[٥].

أي يتحرّون أفعالاً يقصدون بها أن تضلّ فلا يحصل من فعلهم ذلك، إلّا ما فيه ضلال أنفسهم، وقال عن الشيطان:

(١) الفاتحة: ٧.

(٢) طه: ٥٢.

(٣) الفيل: ٢.

(٤) النساء: ١١٣.

(٥) آل عمران: ٦٩.

﴿ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾[١].

وقال في الشيطان :

﴿ وَلَـقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبلاًّ كَثِيراً ﴾[٢].

﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾[٣].

﴿ وَلا تَـتَّبِـعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾[٤].

وإضلال الله تعالى للإنسان على وجهين :

أحدهما : أن يكون سببه الضلال وهو أن يضلّ الإنسان فيحكم الله عـليه بذلك في الدنيا، ويعدل به عن طريق الجنّة إلى النار في الآخرة، وذلك إضلال هو حقّ وعدل. فالحكم على الضالّ بضلاله والعدول به عن طريق الجنّة إلى النار عدل وحقّ.

الثاني : من إضلال الله، هو أنّ الله تعالى وضع جبلة الإنسان على هيئة إذا راعى طريقاً محموداً كان أو مذموماً ألفه واستطابه ولزمه وتعذّر صرفه وانصرافه عنه، ويصير ذلك كالطبع الذي يأبى على الناقل، ولذلك قيل : العادة طـبع ثـان. وهذه القوّة في الإنسان فعل إلهي، وإذا كان كذلك وقد ذكر في غير هذا الموضع أنّ كلّ شيء يكون سبباً في وقوع فعل صحّ نسبة ذلك الفعل إليه، فـصحّ أن يـنسب ضلال العبد إلى الله من هذا الوجه، فيقال : أضلّه الله لا على الوجه الذي يتصوّره

(١) النساء : ١١٩.

(٢) يس : ٦٢.

(٣) النساء : ٦٠.

(٤) ص : ٢٦.

الجهلة، ولما قلناه جعل الإضـلال المـنسوب إلى نـفسه للكـافر والفـاسق دون المؤمن، بل نفى عنه نفسه إضلال المؤمن فقال :

﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ ﴾[١].

﴿ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ ﴾[٢].

وقال في الكافر والفاسق :

﴿ فَـتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٣].

﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِينَ ﴾[٤].

﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الكَافِرِينَ ﴾[٥].

﴿ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ ﴾[٦].

وعلى هذا النحو تقليب الأفئدة في قوله : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ ﴾[٧].

والختم على القلب في قوله : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾[٨].

وزيادة المرض في قوله : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ﴾[٩].

(١) التوبة : ١١٥.

(٢) محمّد ﷺ : ٤ ـ ٥.

(٣) محمّد ﷺ : ٨.

(٤) البقرة : ٢٦.

(٥) المؤمن : ٧٤.

(٦) إبراهيم : ٢٧.

(٧) الأنعام : ١١٠.

(٨) البقرة : ٧.

(٩) البقرة : ١٠.

وزبدة المخاض: كلّ من ينحرف عن الحقّ والصواب فهو ضالّ، ومن عرف الحقّ وتبعه فهو المهتدي.

وأمّا من هو الحقّ وما هو الصواب؟ وكيف نعرفهما ونعرف صدقهما؟ فهذا يرجع إلى الله سبحانه، فإنّه هو الحقّ كما في قوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾[1].

وما سواه لا محالة سيكون باطلاً وانحرافاً وضلالاً، فالحقّ هو الله، وكلّ ما فيه اسمه وحكمه، كالأنبياء والأوصياء ومن في خطّهم، والأحكام الشرعية والعقل وما شابه ذلك، فكلّ ما ينسب إلى الله سبحانه فهو الحقّ الحقيق، وما سواه فهو زيغ وباطل.

ثمّ الضلال أمر نسبي، وإنّه كلّي مقول بالتشكيك له مراتب طولية وعرضية، كالوجود والنور. فمن فَنى في الله كان حقّاً ومهتدياً، ومن ابتعد عن الله كان في ضلال، وكلّما ابتعد ازداد ضلالاً، فتختلف دائرة الضلال سعة وضيقاً باقترابها وابتعادها عن الحقّ والحقيقة.

وأساس الضلال الجهل، والجهل إمّا أن يكون بسيطاً فصاحبه يكون ضالاً، إلّا أنّه قابل للهداية، وإمّا أن يكون مركّباً بأنّه يجهل ويجهل بأنّه جاهل، فيتصوّر أنّه يعلم، ويريد أن يتبعه الآخرون في جهله وضلاله، فهذا يكون مضلّاً.

فالكافر ضالّ، وإذا دعا إلى كفره فهو مضلّ، وكذلك المخالف والمنافق والمنحرف.

(١) فصّلت: ٥٣.

فالهدى والهداية تتمثّل بالهادي المطلق ومطلق الهادي وهو الله سبحانه، ثمّ بالمنصوب والمبعوث من قبله، كالأنبياء والأوصياء، وبما أنزله من الكتب السماوية، فالتوحيد من الهداية والكفر من الضلال، ثمّ الموحّد المؤمن بالله لو لم يؤمن بخاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله فهو ضالّ أيضاً كالنصارى واليهود، فإنّه:

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[1].

فالدين المرضيّ لله هو الإسلام الذي جاء به رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله.

ثمّ المسلم لو لم يؤمن بخلفاء الرسول حقّاً، والأئمة الاثني عشر عليهم السلام فإنّه ضالّ أيضاً، كما ورد في الخبر الشريف:

في أُصول الكافي، عن سفيان بن السمط، قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والإيمان، ما الفرق بينهما؟ فلم يجب، ثمّ سأله فلم يجب، ثمّ التقينا في الطريق وقد أزف من الرجل الرحيل. فقال أبو عبد الله عليه السلام: كان قد أزف منك الرحيل؟ فقال: نعم. فقال: فالقني في البيت. فلقيه فسأله عن الإسلام والإيمان وما الفرق بينهما؟ فقال: الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان. وقال: الإيمان معرفة هذا الأمر، أي ولاية أهل البيت عليهم السلام، مع هذا فإن أقرّ بها ولم يعرف الأمر كان مسلماً وكان ضالاً.

وهذا يعني بوضوح أنّ من لم يعرف ولم يعتقد بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ولم يعرف أمر ولايتهم وأنّهم مفروضو المودّة والطاعة، فإنّه وإن قال بالشهادتين، ويُحكم بإسلامه وطهارته، إلّا أنّه يعدّ ضالاً، وإذا أضلّ الآخرين

(١) آل عمران: ٨٥.

كعلماء المخالفين، فإنّه يكون مضلّاً أيضاً.

فالضلال هنا إنّما هو انحراف والردّة عن الخلافة الحقّة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وعن الإمامة والولاية من بعده صلى الله عليه وآله، كما من الضلال الانحراف عن خاتم النبوّة كالنصارى، ومن الإضلال الانحراف عن التوحيد كالمشركين والمجوسيين والشيوعيين وغيرهم.

فمن عرف الحقّ وعرف أهله، وشايعهم علماً وعملاً، فكراً وسلوكاً، عقيدةً وجهاداً، فهو من المهتدين، وإذا جهلهم أو جهل مقاماتهم ومنازلهم الخاصّة بهم، أو أنكر علمهم أو عصمتهم، أو تولّى أعدائهم، فإنّه يكون ضالاً، وكذلك إذا زاد عن حدّهم ونسب إليهم الألُوهية أو الصفات المختصّة بالله سبحانه، فإنّه يكون ضالاً، حتّى لو كان شيعياً فالضلال أساسه الجهل، (والجاهل ـ كما ورد في نهج البلاغة ـ إمّا مُفرط أو مفرّط) فالجاهل بالأئمة الأطهار عليهم السلام إمّا أن يغلوا فيهم ويقول بربوبيّتهم ـ والعياذ بالله ـ فهذا من الشيعة الغلاة[1]، وإنّهم بلا ريب من أهل الضلال، وإمّا أن يقصّر في حقّهم، فيسلب عنهم خصائصهم وعلوّ منزلتهم وكراماتهم، فهذا أيضاً يكون ضالاً عن الحقّ، فالجاهل إمّا في حدّ الإفراط وهو الغلوّ، أو التفريط وهو التقصير، وكلاهما انحراف عن جادّة الحقّ وصراطه، والأئمة الأطهار عليهم السلام هم النمرقة الوسطى يلحق بهما الغالي والتالي المقصّر، فهم الصراط المستقيم والعروة الوثقى وكلمة الله العليا.

وبهذا سوف تقف على ما يقوله بعض الأعلام من أساطين العلم والاجتهاد، عن الرجل بأنّه ضالّ ومضلّ، فإنّه قد قصّر في معرفة الأئمة الأطهار عليهم السلام، وفي

(١) لقد ذكرنا تفصيل ذلك في رسالة (ماذا تعرف عن الغلوّ والغلاة)، مطبوع، فراجع.

مقام سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، وتبعه على ذلك جماعة، فيكون ضالاً ومضلاً.

والضلال ربما يكون في المعتقد وربما يكون في العمل والسلوك.

فقد ورد في الحديث الشريف: هلك من يخفق خلفه النعال، فإنّه ضالّ ومضلّ.

فمثل هذا الشخص الذي يمشي خلفه الرجال ويتبختر بذلك فإنّه هالك وقد ضلّ الطريق كما أضلّ الذين يمشون خلفه، وتخفق نعالهم من وراءه.

فهذا من الضلال في السلوك والعمل.

ولمّا كانت الهداية بمعنى إراءة الطريق أو الإيصال إلى المطلوب، فكذلك الضلال فإنّه بمعنى الانحراف عن الطريق، أو التوقّف عن المسير فيه.

توضيح ذلك: لو كان المقصود من السفر الوصول إلى النجف الأشرف لزيارة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام. فالمهتدي من وصل إلى قبره وحرمه الشريف، أمّا من انحرف عن الشارع، ودخل شوارع أُخرى، فإنّه ضلّ الطريق فهو ضالّ، وكذلك من توقّف في منتصف الطريق ويدّعي أنّ النجف الأشرف ها هنا، فإنّه ضلّ أيضاً، ومثل هذا لا يقال له قد اهتدى ووصل إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام، كما هو واضح.

فيطلق الضالّ حينئذٍ على مثل المخالف والمنافق، لانحرافه عن أصل الحقّ، كما يطلق على الموافق الذي قصّر في معرفة الحقّ، ولم يعرفه كما هو المطلوب، فمن توقّف عن معرفة الأئمة عليهم السلام، فإنّه ضالّ. إذ المطلوب من كلّ شيعي إمامي اثنا عشري أن يزداد علماً وفهماً في معرفة ربّه، ومعرفة رسوله، والأئمة الأطهار عليهم السلام، فلو توقّف أو انحرف عن الصواب وعن معرفة الحقّ، فإنّه

ضالّ، لأنّ الحقّ يدعوه إلى الالتحاق به ومتابعته ومشايعته، وإنّه إلى ربّك المنتهى، فالحقّ يستلزمه الفناء في الله، فمن كان سائراً وسالكاً إلى الله فهو من المهتدين، وإن تحيّر في مسيره وسلوكه وتوقّف ولم يزدد هدىً، فإنّه ضالّ، وإن أوقف الآخرين فهو المضلّ.

فربما من أُطلق عليه الضالّ والمضلّ كان بهذا الاعتبار، فمن يتشبّع أفكاره بالحضارة الغربية مثلاً، وينفتح على الثقافة الضالّة والمضلّة، ومن أجل أن يكون عصريّاً ويواكب التمدّن والتعنصر بحسب تصوّره، فإنّه يتوقّف عن معرفة الأئمة عليهم السلام، بل يثير الشبهات والشكوك حول المقدّسات والمسلّمات الشيعية[1]، وهذا يعني بأنّه ضلّ الطريق، وأضلّ بعض الناس فهو ضالّ ومضلّ. فإنّه توقّف عن المسير إلى ربّه، ولجهله المركّب يحسب أنّه يحسن صنعاً، أو أنّه على الحقّ.

فمن كان أعلم منه وعرف الصواب ونهج الحقّ وسار فيه، فإنّه سيعرف انحراف الرجل وضلاله، وأنّه على غير بصيرة، وما يقوله من الجهل المركّب، فلا جرم من باب التكليف الشرعي لا بدّ من محاربة البدع وأصحابها، وإزهاق الباطل وأهله.

ففي الخبر الصحيح: «الكافي بسنده عن داود بن سرحان عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبّهم والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم

(١) كما فعله كسروي في إيران وردّه السيّد الإمام الخميني في كتابه (الأسرار) وبين آونة وأُخرى يظهر على الساحة أمثال كسروي ليكون فتنة للناس، ولتكون الهداية والضلال عن بيّنة، وتكون الحجّة البالغة لله سبحانه.

كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلّموا من بدعهم، يكتب الله لهم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»[1].

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن إيمان من يلزمنا حقّه وإخوته، كيف هو؟ وبما يثبت وبما يبطل؟ فقال عليه السلام: إنّ الإيمان قد يتّخذ على وجهين: أمّا أحدهما فهو الذي يظهر لك من صاحبك، فإذا ظهر لك منه مثل الذي تقول به أنت، حقّت ولايته وأُخوّته، إلّا أن يجيء منه نقض الذي أظهر لك خرج عندك ممّا وصفت لك وأظهر، وكان لما أظهر لك ناقضاً، إلّا أن يدّعي أنّه إنّما عمل ذلك تقيّة، ومع ذلك ينظر فيه، فإن كان ليس ممّا يمكن أن تكون التقيّة في مثله لم يقبل منه ذلك، لأنّ للتقيّة مواضع، من أزالها عن مواضعها لم تستقم له...[2].

وجاء في الحديث الشريف أيضاً: «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه» عليه أن يتصدّى لانحرافه وضلاله، حتّى لا يتصوّر أنّ ما يقوله يُعدّ من متون التشيّع وأُصول المذهب، وإذا تصدّينا للباطل والانحراف والضلال، فإنّه بموت صاحب البدعة والضلال، يموت الضلال والباطل أيضاً.

وقد حدث هذا المعنى في عصرنا تكراراً ومراراً، فما دام الرجل المنحرف بين الناس، ويظهر في الساعة والساحة، فإنّه يتناقل كلامه وآراءه في الأوساط، ولكن إذا وقف المراجع العظام ومن يحذو حذوهم من العلماء والمحاضرين والخطباء والشعراء والمثقّفين والمؤمنين، أمام انحرافات الشخص، فإنّه بلا شكّ عند موته تموت معه أفكاره وآراءه الضالّة، أمّا إذا سُكت عنه، وصال وجال في

(١) الكافي ٢: ٣٧٥، والمكاسب المحرّمة للشيخ الأنصاري ٤: ٥٠.

(٢) المصدر ٢: ١٦٨.

الميدان بما يحلو له من غير رادع ومنكر، فإنّه عند موته يتولّد مرّة أُخرى، وتنتشر أفكاره وآراءه بين الناس، فيكون ضالاً ومضلاً في حياته وبعد موته، خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

فالضلال إمّا بمعنى الانحراف عن الصواب، والتيه في وادي الباطل، أو التوقّف دون السير إلى الحقّ المطلوب. ويقابله الهداية، فأمّا بمعنى إراءة الطريق كمن يسأل عن دار شخص فتدلّه عليها، وتريه الطريق أو تعطيه العنوان، وإمّا أن تكون الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب، بأن تأخذ بيد السائل وتوصله إلى الدار، كما مرّ.

وهداية الأنبياء للناس إنّما هو من النحو الأوّل ـ باعتبار النبوّة ـ، فالنبيّ يهدي الناس بإراءة الطريق إلى الله وإلى الجنّة، ولكنّ الإمام عليه السلام فهدايته من النحو الثاني أيضاً، فوجوده المبارك ـ وبيمنه رُزق الورى ـ يستوجب هداية الناس وإيصالهم إلى المطلوب، كما أنّه يُريهم الطريق، فتدبّر.

هذا والمقصود بيان المهتدين من الناس الذين عرفوا بولايتهم للإمام العادل والبراءة من الإمام الجائر، وهم الداخلون ضمن دائرة التشيّع بالمعنى العامّ ـ أي الفرقة الناجية ـ وبالأولويّة يعمّ الخاصّ والأخصّ كما سيتّضح.

عن أبي يعفور، عن الصادق عليه السلام، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي أُخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتوالونكم ويتوالون فلاناً وفلاناً... لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتوالونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق! قال: فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً وأقبل عليّ كالمغضب، ثمّ قال: لا دين لمن دان بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادلٍ من الله. قلت: لا دين لأُولئك ولا عتب على هؤلاء؟! قال: نعم،

لا دين لأُولئك ولا عتب على هؤلاء، ثمّ قال: ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[1]، من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة أو المغفرة ـ فيموت مؤمناً مغفوراً له ـ لولايتهم كلّ إمام عادل من الله، قال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾، فأيّ نور يكون للكافر فيخرج منه؟ إنّما عنى بهذا ـ أنّهم كانوا على نور الإسلام ـ فلمّا توالوا كلّ إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إيّاهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار مع الكفّار، فقال: ﴿ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2] ـ فيموت كافراً ملعوناً ـ.

وقد اتّفق الفريقان ـ السنّة والشيعة ـ أنّه ورد في النبويّ الشريف: «من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهليّة» ميت الكفر والشرك. فمن هو إمام زمانك؟ إمام عادل معصوم غير جائر ولا ظالم ولا فاسق؟

أمالي الطوسي: عن يعقوب بن ميثم التمّار مولى عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، يا بن رسول الله، إنّي وجدت في كتب أبي أنّ عليّاً عليه السلام قال لأبي ميثم: أحبب حبيب آل محمّد وإن كان فاسقاً زانياً، وأبغض مبغض آل محمّد وإن كان صوّاماً قوّاماً، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: «الذين آمنوا وعملوا الصالحات أُولئك هم خير البريّة»، ثمّ التفت إليّ وقال: هم والله أنت وشيعتك يا عليّ، وميعادك وميعادهم الحوض غداً غرّاً محجّلين متوّجين، فقال أبو جعفر عليه السلام: هكذا هو عياناً في

---

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) البحار ٢٣: ٣٣٣، وغيبة النعماني: ٥.

كتاب عليٍّ عليه السلام ...[١].

أقول : المقياس الأوّل في الشيعة بالمعنى العام ـ كما سيأتي ـ هو الولاية والبراءة، فلا بدّ من تولّي محمّد وآل محمّد وشيعتهم وإن كان أحدهم فاسقاً زانياً، ثمّ التبرّي من أعدائهم عليهم السلام وبغض مبغضيهم، وإن كان صوّاماً قوّاماً، أي يصوم النهار ويقوم الليل، وهذا يعني وإن كان من أهل الصلاة والصوم ... ! !

عن كتاب (المحاسن) بسنده عن موسى بن بكر، قال : كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فقال رجل في المجلس : أسأل الله الجنّة، فقال أبو عبد الله عليه السلام : أنتم في الجنّة فاسألوا الله أن لا يخرجكم منها، فقال : جُعلنا فداك، نحن في الدنيا، فقال عليه السلام : ألستم تقرّون بإمامتنا ؟ قالوا : نعم، فقال : هذا معنى الجنّة، من الذي أقرّ به كان في الجنّة فاسألوا الله أن لا يسلبكم[٢].

أقول : من كان من أهل الجنّة فهو بلا ريب كان من المهتدين، إلّا أنّ الهدى كلّي تشكيكي قابل للزيادة والنقص، فتدبّر.

(١) سفينة البحار ٤ : ٥٤٣، عن البحار ٦٨ : ٢٥.

(٢) السفينة ٤ : ٥٤٦.

الضلال في لسان الأخبار

لا يخفى أنّ ما نذكره من الأخبار الشريفة في هذه العجالة إنّما هو من باب النموذج والإشارة، وإلّا فإنّ أحاديث هذا الباب كثيرة، كما أنّ البحث حوله ذو فنون وشجون، فالمقصود أن نعرف الهداية والضلال أوّلاً، ثمّ كيف نحكم على أنفسنا أو غيرنا بالضلال أو الهداية ؟

قال الله تعالى :

﴿ فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[١].

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا العَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً ﴾[٢].

﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴾[٣].

(١) الأعراف : ٣٠.

(٢) مريم : ٧٥.

(٣) الأعراف : ٢٠٢.

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلالَةَ بِالهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[1].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وصيّته لابنه الحسن عليه السلام: دع القول في ما لا تعرف، والخطاب في ما لم تكلّف، وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته، فإنّ الكفّ عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال.

وعنه عليه السلام: ويلٌ لمن تمادى في غيّه ولم يفيء إلى الرشد.

وقال عليه السلام: لا ورع مع غيّ (الغيّ أشرّ).

وقال عليه السلام في ذكر النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله: اللهمّ أعل على بناء البانين بناءه... واحشرنا في زمرته غير خزايا، ولا نادمين، ولا ناكبين ولا ناكثين ولا ضالّين ولا مضلّين ولا مفتونين.

وعنه عليه السلام ـ في فضائل أهل البيت عليهم السلام وضلالة مخالفيهم ـ قد خاضوا بحار الفتن وأخذوا بالبدع دون السنن، وأرز المؤمنون، ونطق الضالّون المكذّبون.

وأمّا موجبات الضلالة:

قال سبحانه:

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بِالإيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[2].

﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾[3].

(١) البقرة: ١٦.

(٢) البقرة: ١٠٨.

(٣) النساء: ١١٦.

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾[1].

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾[2].

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾[3].

فمن موجبات الضلال كما في القرآن الكريم: تبديل الكفر بالإيمان، والشرك بالله، والكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، أي بأُصول الدين، ومعصية الله ورسوله، وعبادة الهوى واتّباعه وغير ذلك.

وأمّا في الأحاديث الشريفة:

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: لكلّ ضلّة علّة، ولكلّ ناكث شبهة.

عنه عليه السلام: ألا وإنّ شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق وغنم، ومن وقف عنها ضلّ وندم.

ومن كتابه عليه السلام إلى معاوية الضالّ والمضلّ: أمّا بعد فقد أتتني منك موعظة موصّلة، ورسالة محبّرة، نمّقتها بضلالك، وأمضيتها بسوء رأيك، وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، قد دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتّبعه، فهجر لاغطاً وضلّ خابطاً.

(١) النساء: ١٣٦.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

(٣) الجاثية: ٢٣.

وعنه عليه السلام: انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم... لا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا.

وقال عليه السلام: من لا يستقيم به الهدى يجرّه الضلال إلى الردى.

وعنه عليه السلام: من كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحقّ، ومن زاغ ساءت عنده الحسنة، وحسنت عنده السيّئة، وسكر سكر الضلالة.

وقال عليه السلام: ضلّ من اهتدى بغير هدى الله.

من اهتدى بهدى الله أرشده، من اهتدى بغير هدى الله سبحانه ضلّ.

من استرشد غوياً ضلّ.

من استهدى الغاوي عمي عن نهج الهُدى.

قد ضلّ من انخدع لدواعي

من يطلب الهداية من غير أهلها ضلّ.

كما ورد عن صاحب الأمر عليه السلام: طلب الهداية من غيرنا مساوغ لإنكارنا.

وإنكارهم هو عين الضلال.

ثمّ ما ورد في المضلّين:

قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا ربَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ ربَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ﴾[1].

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[2].

(١) الأحزاب: ٦٧ ـ ٦٨.

(٢) المائدة: ٧٧.

﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا المُجْرِمُونَ ﴾[1].

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ربَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ ﴾[2].

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾[3].

﴿ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ ﴾[4].

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ ﴾[5].

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[6].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: إنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضُلّ به، فأمات سنّة مأخوذة، وأحيا بدعةً متروكة.

وعنه عليه السلام: إنّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وكله الله إلى نفسه،

(١) الشعراء: ٩٩.

(٢) فصّلت: ٢٩.

(٣) الفرقان: ١٧.

(٤) النساء: ١١٩.

(٥) ص: ٢٦.

(٦) الأنعام: ١١٦.

فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضالّ عن هدى من كان قبله، مضلّ لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمّال خطايا غيره، رهين بخطيئته.

وقال في صفة المنافقين: أُحذّركم أهل النفاق، فإنّهم الضالّون المضلّون والزالّون المزلّون.

وعنه عليه السلام: وآخر قد تسمّى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهّال، وأضاليل من ضلّال، ونصب للناس أشراطاً من حبائل غرور وقول زور.

ولمّا مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان قال عليه السلام: بؤساً لكم لقد ضرّكم من غرّكم، فقيل له: من غرّهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: الشيطان المضلّ، والأنفس الأمّارة بالسوء.

وقال عليه السلام: ضلال الدليل هلاك المستدلّ.

ومن كتابه إلى معاوية، قال عليه السلام: فقد سلكت مدارج أسلافك بادّعائك الأباطيل... فراراً من الحقّ وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك، ممّا قد وعاه سمعك وملئ به صدرك، فماذا بعد الحقّ إلّا الضلال المبين، وبعد البيان إلّا اللبس.

وقال عليه السلام في وجوه الضلالة: الضلالة على وجوه: فمنه محمود ومنه مذموم ومنه ما ليس بمحمود ولا مذموم، ومنه ضلال النسيان.

فأمّا الضلال المحمود وهو المنسوب إلى الله تعالى كقوله: ﴿ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ ﴾[1]، هو ضلالهم عن طريق الجنّة بفعلهم.

(١) المدّثّر: ٣١.

والمذموم هو قوله تعالى:

﴿ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾[1].

﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾[2].

ومثل ذلك كثير.

وأمّا الضلال المنسوب إلى الأصنام، فقوله في قصّة إبراهيم:

﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ ﴾[3].

والأصنام لا يضللن أحداً على الحقيقة، إنّما ضلّ الناس بها، وكفروا حين عبدوها من دون الله عزّ وجلّ.

وأمّا الضلال الذي هو النسيان، فهو قوله تعالى:

﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾[4].

وقد ذكر الله تعالى الضلال في مواضع من كتابه الكريم، فمنه ما نسبه إلى نبيّه على ظاهر اللفظ كقوله سبحانه:

﴿ وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى ﴾[5].

معناه: وجدناك في قوم لا يعرفون نبوّتك فهديناهم بك.

ثمّ أدنى الضلالة يشير إليها أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: أدنى ما يكون به

(١) طه: ٨٥.

(٢) طه: ٧٩.

(٣) إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٦.

(٤) البقرة: ٢٨٢.

(٥) الضحى: ٧.

العبد ضالاً، أن لا يعرف حجّة الله تبارك وتعالى، وشاهده على عباده الذي أمر الله عزّ وجلّ بطاعته وفرض ولايته.

فأدنى مراتب الضلالة عدم معرفة الإمام المفروض الطاعة. ومن مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة الجاهلية، أي مات على الجهل والضلال، كما عاش على الجهل والضلال، فكان في حياته وبعد وفاته ضالاً، لم يهتدِ إلى الحقّ بسوء اختياره وفعله، فأضلّه الله عن طريق الجنّة أيضاً.

الإسلام هادم الضلالات :

وإنّما تتمّ الهداية والمعرفة بالعلم النافع والعمل الصالح، وخير من يهدم أركان الضلالة الإسلام، ونبيّه الأعظم صلى الله عليه وآله، والقرآن الكريم، والعترة الطاهرة عليهم السلام، فهما الثقلان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ما إن تمسّكنا بهما لن نضلّ أبداً ـ كما في حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين السنّة والشيعة ـ.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: استعينوا به ـ أي بالقرآن ـ على لأوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق، والغيّ والضلال.

وعنه عليه السلام: إنّ هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه... وهدم أركان الضلالة بركنه.

وقال في صفة النبيّ صلى الله عليه وآله: المعلن الحقّ بالحقّ، والدافع جيشات الأباطيل، والدامغ صولات الأضاليل.

وقال عليه السلام: أقمت لكم على سنن الحقّ في جوادّ المضلّة، حيث تلتقون ولا دليل، وتحتفرون ولا تميهون[1].

(١) نقلنا الروايات من كتاب (ميزان الحكمة : كلمة الهداية وكلمة الضلالة)، فراجع.

دوائر التشيّع

(أشهد أنّ عليّاً وليّ الله)، هذا هو الحقّ الذي عليه تدور رحى الهداية والضلال، فإنّه شعار يخبر عن شعور صادق وعقيدة حقّة، وأنّه يبتني على الأركان التالية :

الأوّل : العلم والحضور والشهود، باعتبار أنّ الشهادة لا تتمّ إلّا بالعلم الكامل، وبهذا لا تقبل شهادة الشاهد ـ في الفقه الإسلامي ـ إلّا عن حسّ وعلم، فلا يكفي الظنّ، فإنّه لا يغني عن الحقّ شيئاً.

فالمؤمن عندما يقول : (أشهد) فإنّه يخبر الآخرين عن علمه بما يشهد عليه.

الثاني : قوله (أنّ عليّاً) يشير إلى الإمامة والولاية الحقّة المتمثّلة بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فهو الإمام والوصيّ بعد رسول الله وأنّه الوليّ في الكائنات، أي الولاية التكوينية، ومولى المؤمنين والمؤمنات، أي الولاية التشريعيّة.

الثالث : وبقوله (وليّ) فإنّه يعلن عن إيمانه بالنبوّة، فإنّ الخلافة والولاية والوصاية لأمير المؤمنين عليه السلام إنّما هي باعتبار النصّ على ولايته من قبل

الرسول الأعظم محمّد ﷺ بنصب من الله جلّ جلاله، فهذه الولاية إنّما هي خطّ الإمامة المستمدّة شرعيّتها من النبوّة، فهي امتداد لخطّ النبوّة لحفظها ورعايتها عن الانحراف، ونشرها وتبليغها في الأعصار والأمصار، فهي رئاسة عامّة في الدين والدنيا بعد رسول الله ﷺ، بنصب من الله جلّ جلاله.

الرابع: وعندما يختم الشهادة بالله بقوله (وليّ الله) يعني أنّه يؤمن بالتوحيد الكامل الذي يتبلور بالنبوّة والإمامة، والجامع لهذه الأُصول الثلاثة (التوحيد والنبوّة والإمامة) إنّما هو الولاية الإلهية العظمى، كما أنّ الولاية الإلهية يعني حضور وتجلّي الأسماء الإلهيّة الحسنى والصفات العليا في الكائنات وفي الإنسان.

فقولنا (عليّ وليّ الله) في الواقع جمعنا بين التوحيد والنبوّة والإمامة، وهذا هو محور الحقّ ومقياسه، ومن هذا المنطلق كان رسول الله ﷺ يقول:

«عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه أينما دار».

فالمعيار للحقّ هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فهو الذي يجسّد الحقّ بكلّ ما لكلمة الحقّ من مفاهيم ومعاني سامية، وبه عليه السلام عُرف الله ورسوله، وعُرف حقيقة الإسلام.

فالهداية كلّ الهداية في قطبها الحقّ وهو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ومن انحرف عنه فقد ضلّ سواء السبيل، فإنّه هو سبيل الله وصراطه وعروته الوثقى وكلمة التقوى وحبل الله وهداه.

ولا يخفى عندما نعتقد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو القطب والمحور، لا يعني التغافل عن النبيّ أو الله سبحانه، بل الأمير هو نفس رسول الله، وإنّ النبيّ

الأعظم ﷺ هو الإنسان الكامل جامع الجمع لأسماء الله وصفاته، فهو مرآة الحقّ جلّ جلاله. فكلّ من يؤمن بعليّ عليه السلام يؤمن برسول الله وبالله سبحانه ولا عكس.

وحينئذ من شايع علياً عليه السلام كان من المهتدين بالنسبة إلى من أنكره وأنكر خلافته بلا فصل لرسول الله ﷺ، إلّا أنّه يكون ضالاً إذا لم يعتقد بلوازم إمامته كالقول بالأئمة الأحد عشر من ولده عليهم السلام والبراءة من أعدائهم، وهذا يعني أنّ دائرة التشيّع تتوسّم بالسعة والضيق، وربما يكون الرجل مهتدياً بالنسبة إلى شخص، وضالاً بالنسبة إلى آخر. وبهذا نقول: الهداية والضلال ـ فيما سوى الله والأنبياء وأوصيائهم من المعصومين عليهم السلام ـ أمران نسبيّان مقولان بالتشكيك ذات المراتب العموديّة والأُفقيّة.

زبدة المخاض

أنّ المتلخّص من النصوص الدينية أقصدُ الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، وكذلك من التاريخ الإسلامي والحوادث التي برزت في صدر الإسلام، وباعتبار الحكم الفقهي أيضاً، أنّ التشيّع والشيعة ذو مراتب، أو بالأحرى ذو دوائر تختلف سعة وضيقاً، إلّا أنّه يطلق على الجميع أنّهم من الشيعة، فالقاسم المشترك بينهم هو مشايعة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والإيمان به، إلّا أنّه بين دائرة وأُخرى بون وسيع بسعة السماء والأرض. ويبدو لي أنّ أُمّهات المراتب والدوائر إنّما هي أربع:

الأُولى ـ الشيعة بالمعنى الأعمّ

ويطلق على كلّ من يقول بأنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل، وهذا من التشيّع بحسب الحوادث التاريخية، ويشمل كلّ الطوائف والفرق الشيعية من الغلاة والزيدية والإسماعيلية وغيرهم.

وهؤلاء من الضالّين كما ورد في النصوص ودلّت عليه البراهين القطعيّة والأدلّة العقليّة والنقليّة.

١ ـ البحار بسنده عن محمّد بن تمام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ فلاناً مولاك يقرئك السلام ويقول لك: اضمن لي الشفاعة. فقال: أمن موالينا؟ قلت:

نعم. قال: أمره أرفع من ذلك. قال: قلت: إنّه رجل يوالي عليّاً ولم يعرف من بعده من الأوصياء؟ قال: ضالّ. قلت: فأقرّ بالأئمة جميعاً وجحد الآخر؟ قال: هو كمن أقرّ بعيسى وجحد بمحمّد صلى الله عليه وآله، أو أقرّ بمحمّد وجحد بعيسى عليه السلام، نعوذ بالله من جحد حجّة من حججه[١].

٢ ـ وعن محمّد بن مسلم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل قال لي: اعرف الأخير من الأئمة ولا يضرّك أن لا تعرف الأوّل، قال: فقال: لعن الله هذا، فإنّي أُبغضه ولا أعرفه، وهل يُعرف الأخير إلّا بالأوّل[٢].

٣ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بليّة الناس عظيمة إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا[٣].

٤ ـ الكافي بسنده عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: من ادّعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أنّ لهما ـ فلان وفلان ـ في الإسلام نصيباً[٤].

٥ ـ وعن سورة بن كليب، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴾[٥]؟

---

(١) البحار ٢٣: ٩٨، عن الغيبة للنعماني: ٥٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) البحار عن أمالي الصدوق: ٣٦٣.

(٤) الكافي ١: ٤٣٤ ـ ٤٣٧.

(٥) الزمر: ٦٠.

قال: من قال: إنّي إمام وليس بإمام. قال: قلت: وإن كان علويّاً؟ قال: وإن كان علويّاً. قلت: وإن كان من ولد عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: وإن كان[1].

٦ ـ وعن الحسين بن مختار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك ﴿ وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ ﴾؟ قال: كلّ من زعم أنّه إمام وليس بإمام. قلت: وإن كان فاطميّاً علويّاً؟ قال: وإن كان فاطميّاً علويّاً[2].

فالإمامة إنّما هي بنصّ من الله سبحانه وتعالى وبتعيين من رسوله صلى الله عليه وآله، فمن يدّعيها وليس بإمام فهو ضالّ ومضلّ، ومن اتّبعه كان من الضالّين.

٧ ـ عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ ﴾[3]، قال: يعني من اتّخذ دينه رأيه، بغير إمام من أئمّة الهدى[4].

٨ ـ وعن محمّد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كلّ من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضالّ متحيّر، والله شانئ لأعماله، ومثله كمثل شاة ضلّت عن راعيها وقطيعها، فهجمت ذاهبة وجائية يومها، فلمّا جنّها الليل بصرت بقطيع من غير راعيها، فحنّت إليها واغترّت بها، فباتت معها في ربطتها، فلمّا أن ساق الراعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيّرة تطلب راعيها وقطيعها، فبصرت بغنم مع راعيها، فحنّت

(١) الكافي ١: ٤٣٤ ـ ٤٣٧.
(٢) الكافي ١: ٤٣٤ ـ ٤٣٧.
(٣) القصص: ٥٠.
(٤) الكافي ١: ٤٣٤ ـ ٤٣٧.

إليها واغترّت بها، فصاح بها الراعي الحقي براعيكِ وقطيعكِ، فإنّك تائهة متحيّرة عن راعيكِ وقطيعةِ، فهجمت ذَعِرةً نادّةً لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردّها، فبينا هي كذلك إذ اغتنم الذئب ضيعتها فأكلها، وكذلك ـ والله يا محمّد ـ من أصبح من هذه الأُمّة لا إمام له من الله عزّ وجلّ ظاهراً عادلاً أصبح ضالّاً تائهاً وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق، واعلم يا محمّد أنّ أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلّوا وأضلّوا، فأعمالهم التي يعملونها كرمادٍ اشتدّت به الريح في يومٍ عاصف لا يقدرون ممّا كسبوا على شيء، ذلك هو الضلال البعيد[1].

٩ ـ وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال الله تبارك وتعالى: لأُعذّبنّ كلّ رعيّة في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام جائر ليس من الله، وإن كانت الرعيّة في أعمالها برّة تقيّة، ولأعفونّ عن كلّ رعيّة في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام عادل من الله وإن كانت الرعيّة في أنفسها ظالمة مسيئة.

١٠ ـ فقبول الأعمال والأفعال إنّما يتمّ بولاية الإمام الحقّ المنصوب والمتعيّن من قبل الله سبحانه، فالمذاهب الإسلامية والتشيّع بالمعنى الأعمّ إن وصل إليهم الحقّ فأنكروه وجحدوه فهم من الضالّين والمضلّين وإن كانوا في أعمالهم أصحاب البرّ، فإنّ عمل البرّ إنّما يقبل بشرطها وشروطها، وقطب الشرائط ولاية أئمة الحقّ من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

١١ ـ عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الله لا يستحيي أن

(١) الكافي ١: ٤٣٤ ـ ٤٣٧.

يعذّب أُمّة دانت بإمام ليس من الله ـ بل من قبل الناس وفي سقيفتهم ـ وإن كانت أعمالها برّة تقيّة، وإنّ الله ليستحيي أن يعذّب أُمّة دانت بإمام من الله وإن كانت في أعمالها ظالمة مسيئة.

١٢ ـ عن الفضيل بن يسار، قال: ابتدأنا أبو عبد الله عليه السلام يوماً وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهليّة. فقلت: قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: إي والله قد قال. قلت: فكلّ من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهليّة؟! قال: نعم.

١٣ ـ عن ابن أبي يعفور، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهليّة. قال: قلت: ميتة كفر؟ قال: ميتة ضلال. قلت: فمن مات اليوم وليس له إمام فميتته ميتة جاهليّة؟ فقال: نعم.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة؟ قال: نعم. قلت: جاهليّة أم جهلاء أو جاهليّة ولا يعرف إمامه؟ قال: جاهليّة كفر ونفاق وضلال[1].

وقال الشيخ الصدوق في كتاب الاعتقادات: اعتقادنا في الظالمين أنّهم ملعونون والبراءة منهم واجبة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ

(١) الروايات من الكافي ١: ٤٣٩.

بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾[1].

وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية: إنّ سبيل الله عزّ وجلّ في هذا الموضع هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والأئمة في كتاب الله عزّ وجلّ إمامان: إمام هدىً وإمام ضلالة، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيَامَةِ هُمْ مِنَ المَقْبُوحِينَ ﴾[2]، ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿ وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾[3]، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: من ظلم عليّاً مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنّما جحد نبوّتي ونبوّة الأنبياء من قبلي، ومن تولّى ظالماً فهو ظالم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا الكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[4]، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾[5]، وقال عزّ وجلّ: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[6]، وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾[7]، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه.

(١) هود: ١٨ ـ ١٩.
(٢) القصص: ٤١ ـ ٤٢.
(٣) الأنفال: ٢٥.
(٤) التوبة: ٢٣.
(٥) الممتحنة: ١٣.
(٦) المجادلة: ٢٢.
(٧) هود: ١١٣.

فمن ادّعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: من جحد عليّاً إمامته من بعدي فإنّما جحد نبوّتي، ومن جحد نبوّتي فقد جحد ربوبيّته.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ: يا عليّ أنت المظلوم بعدي، من ظلمك فقد ظلمني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن جحدك فقد جحدني، ومن والاك فقد والاني، ومن عاداك فقد عاداني، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني.

واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام بمنزلة من جحد نبوّة الأنبياء عليهم السلام، واعتقادنا فيمن أقرّ بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة عليهم السلام أنّه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء ثمّ أنكر نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله.

وقال الصادق عليه السلام: المنكر لآخرناكالمنكر لأوّلنا.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: الأئمة من بعدي اثنا عشر أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم القائم، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، ومن أنكر واحداً منهم فقد أنكرني.

وقال الصادق عليه السلام: من شكّ في كفر أعدائنا والظالمين لنا فهو كافر.

واعتقادنا في مَن قاتل عليّاً عليه السلام كقول النبيّ صلى الله عليه وآله: من قاتل عليّاً فقد قاتلني، وقوله: من حارب عليّاً فقد حاربني، ومن حاربني فقد حارب الله عزّ وجلّ.

وقوله صلى الله عليه وآله لعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم.

وأمّا فاطمة صلوات الله عليها فاعتقادنا أنّها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وإنّ الله عزّ وجلّ يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، وإنّها خرجت من الدنيا ساخطة على ظالمها وغاصبها ومانعي إرثها. وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة منّي مَن آذاها فقد آذاني، ومن غاظها فقد غاظني، ومن سرّها فقد سرّني.

وقال صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة منّي وهي روحي التي بين جنبَيَّ، يسوؤني ما ساءها، ويسرّني ما سرّها.

واعتقادنا في البراءة أنّها واجبة من الأوثان الأربعة ـ كما جاء في زيارة عاشوراء ـ والاناث الأربع ـ كما في تهذيب الشيخ الطوسي في تعقيبات صلاة الظهر ـ ومن جميع أشياعهم وأتباعهم وأنّهم شرّ خلق الله عزّ وجلّ، ولا يتمّ الإقرار بالله وبرسوله وبالأئمة عليهم السلام إلّا بالبراءة من أعدائهم[1].

١٤ ـ من كتاب أُنس العالم للصفواني، قال: إنّ رجلاً قدم على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّي أُحبّك وأُحبّ فلاناً، وسمّى بعض أعدائه، فقال عليه السلام: أمّا الآن فأنت أعور، فإمّا أن تعمى وإمّا أن تبصر.

١٥ ـ وفي حديث آخر قال عليه السلام: كذب من زعم أنّه يحبّني ويحبّ عدوّي، ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه.

١٦ ـ وقيل للصادق عليه السلام: إنّ فلاناً يواليكم إلّا أنّه يضعف عن البراءة من عدوّكم، فقال: هيهات كذب من ادّعى محبّتنا ولم يتبرّأ من عدوّنا[2].

---

(١) البحار ٢٧ : ٦٣، عن اعتقادات الصدوق عليه الرحمة : ١١١ ـ ١١٤.

(٢) البحار ٢٧ : ٥٨، عن تفسير العيّاشي ٢ : ١١٦.

١٧ ـ عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدوّنا.

١٨ ـ عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾[1] فيحبّ بهذا ويبغض بهذا، فأمّا محبّتنا فيخلص الحبّ لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه، من أراد أن يعلم حبّنا فليمتحن قلبه فإن شاركه في حبّنا حبّ عدوّنا فليس منّا ولسنا منه، والله عدوّهم وجبرئيل وميكائيل، والله عدوّ للكافرين[2].

هذا غيض من فيض من الروايات الشريفة الواردة في هذا الباب، فمن لم يتولّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام سيّد الأوصياء ثمّ أولاده الأئمة الخلفاء من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّه ضالّ ومضلّ، إلّا أن يتوب ويدخل في دائرة الإيمان والنجاة.

الثانية ـ الشيعة بالمعنى العامّ

ويراد منه خصوص الإمامية الاثني عشرية، والأئمة الأطهار عليهم السلام يخاطبونهم غالباً بقولهم: «يا معشر الشيعة»، وهؤلاء يعتقدون بعصمة الأئمة عليهم السلام وبوجود صاحب الأمر عليه السلام، وأنّه مولود وحيّ يرزق، بيمنه رزق الورى وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، كما يؤمنون بلوازم أُخرى من الولاية

(١) الأحزاب: ٤.

(٢) البحار ٢٧: ٥١، عن تفسير القمّي: ٥١٤.

والبراءة وغيرهما.

١ ـ عن عبد الله بن زياد، قال: سلّمنا على أبي عبد الله عليه السلام بمنى ثمّ قلت: يا بن رسول الله، إنّا قوم مجتازون لسنا نطيق هذا المجلس منك كلّما أردناه فأوصنا؟ قال:

عليكم بتقوى الله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الصحبة لمن صحبكم، وإفشاء السلام وإطعام الطعام، صلّوا في مساجدهم، وعودوا مرضاهم، واتّبعوا جنائزهم، فإنّ أبي حدّثني أنّ شيعتنا أهل البيت كانوا خيار من كانوا منهم، إن كان فقيه كان منهم، وإن كان مؤذّن فهو منهم، وإن كان إمام كان منهم، وإن كان صاحب أمانة كان منهم، وإن كان صاحب وديعة كان منهم، وكذلك كونوا، أحبّونا إلى الناس ولا تبغّضونا إليهم.

فمثل هذا الحديث الشريف يدلّ على أنّ الشيعة الإمامية بالنسبة إلى الناس وباقي المسلمين لا بدّ أن يكونوا أعلى رتبة ودرجة من غيرهم في الإيمان والتقوى والأخلاق الطيّبة على الصعيدين الاجتماعي والفردي، حتّى يكونوا زيناً لأئمتهم الأطهار عليهم السلام.

٢ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام:

إنّما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عينان في الرأس، وعينان في القلب، ألا والخلائق كلّهم كذلك إلّا أنّ الله عزّ وجلّ فتح أبصاركم، وأعمى أبصارهم.

والملاحظ في مثل هذه الروايات أنّ الأئمة عليهم السلام عندما يقيسون شيعتهم بغيرهم، يراد منهم هذه الطبقة والدائرة الثانية، وعندما يقصدون بيان الشيعي الحقيقي يقصدون الطبقة الثالثة كما يظهر من رواياتهم الشريفة، ويطلبون من

شيعتهم المزيد من التقوى والمعرفة والاستقامة في الولاية وفي تشيّعهم حتّى يهتدوا إلى الرتبة العالية والمقام السامي والمنزلة الرفيعة، يصلوا إلى حدّ المعاشرة مع الملائكة.

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام:

لو أنّ شيعتنا استقاموا لصافحتهم الملائكة، ولأظلّهم الغمام، ولأشرقوا نهاراً، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولما سألوا الله شيئاً إلّا أعطاهم.

وهذا يعني أنّهم يصلون إلى المرحلة الثالثة وهي دائرة التشيّع بالمعنى الخاص ـ كما سيأتي ـ، فيكونون من الشيعة الكُمّلين، وإذا نفى الأئمة تشيّع بعض الشيعة، فالمراد لا النفي بتاتاً، والذي بمعنى الباطل كالكافر، بل المراد نفي الكمال، كما يقال: (لا صلاة لجار المسجد إلّا في المسجد)، أي لا صلاة كاملة، لا نفي الصلاة أصلاً، وأنّها باطلة، فهي صحيحة إلّا أنّها غير كاملة، وكذلك الشيعي بالمعنى العامّ هو شيعي إلّا أنّه غير كامل، فنفي الأئمة عليهم السلام التشيّع عنهم باعتبار نفي الكمال، لتحريضهم ودعوتهم إلى رتبة أعلى ممّا هم عليه.

٤ ـ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

ليس من شيعتنا من قال بلسانه، وخالفنا في أعمالنا وآثارنا.

٥ ـ وعنه عليه السلام:

يا شيعة آل محمّد، إنّه ليس منّا من لم يملك نفسه عند الغضب، ولم يحسن صحبة من صحبه، ومرافقة من رافقه، ومصالحة من صالحه، ومخالفة من خالفه.

ولا يخفى أنّ الإمام عليه السلام عندما ينفي مثل هذا الرجل عن نفسه سيكون ضالاً بمقدار عدم كونه من الأئمة عليهم السلام ولو بنحو الكمال، فهو من المهتدين

باعتبار كونه من الشيعة بالمعنى العامّ، ولكن من الضالّين باعتبار عدم كماله في التشيّع والمتابعة والإطاعة.

٦ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام:

ليس من شيعتنا من يكون في مصر ـ أي بلدة ـ يكون فيه آلاف ويكون في المصر أورع منه.

٧ ـ قال الإمام الكاظم عليه السلام:

ليس من شيعتنا من خلا ثمّ لم يرع قلبه.

٨ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:

قوم يزعمون أنّي إمامهم، والله ما أنا لهم بإمام، لعنهم الله، كلّما سترت ستراً هتكوه، أقول: كذا وكذا، فيقولون: إنّما يعني كذا وكذا، إنّما أنا إمام من أطاعني.

٩ ـ عن الإمام العسكري عليه السلام، قال:

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله: فلان ينظر إلى حرم جاره، وإن أمكنه مواقعة حرام لم يرع عنه، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إيتوني به، فقال رجل آخر: يا رسول الله، إنّه من شيعتكم ممّن يعتقد موالاتك وموالاة عليّ عليه السلام ويتبرّأ من أعدائكما! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقل من شيعتنا فإنّه كذب، إنّ شيعتنا من شيّعنا وتبعنا في أعمالنا.

١٠ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام:

إنّ أصحابي أُولو النهى والتقى، فمن لم يكن من أهل النهى والتقى فليس من أصحابي.

وتجد في بعض الروايات أنّ الأئمة يعرّفون الشيعة (بالمعنى العامّ) ببعض

معتقدات الشيعة، وكأنّما يعطون مقياساً ومسطرةً لمعرفة الشيعي عن غيره، وفي بعضها يصنّفون الشيعة إلى أصناف.

١١ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام:

ليس من شيعتنا من أنكر أربعة أشياء: المعراج، والمساءلة في القبر، وخلق الجنّة والنار، والشفاعة.

١٢ ـ عنه عليه السلام:

ما كان في شيعتنا فلا يكون فيهم ثلاثة أشياء: لا يكون فيهم من يسأل بكفّه، ولا يكون فيهم بخيل، ولا يكون فيهم من يؤتى في دُبره.

١٣ ـ وعنه عليه السلام:

الشيعة ثلاث: محبّ وادّ فهو منّا، ومتزيّن بنا ونحن زين لم تزيّن بنا، ومستأكل بنا الناس، ومن استأكل بنا افتقر.

١٤ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام:

شيعتنا ثلاثة أصناف: صنف يأكلون الناس بنا، وصنف كالزجاج ينمّ ـ يعني لا يكتم السرّ ويذيع ما في باطنه من الأسرار ـ وصنف كالذهب الأحمر، كلّما أُدخل النار ازداد جودةً.

١٥ ـ دخل رجل على الإمام الصادق عليه السلام وادّعى أنّي من محبّيكم ومواليكم، فقال: من أيّ محبّينا أنت؟ فسكت الرجل. فسأله سدير: كم محبّوكم يا بن رسول الله؟! فقال عليه السلام: على ثلاث طبقات: طبقة أحبّونا في العلانية ولم يحبّونا في السرّ، وطبقة يحبّونا في السرّ ولم يحبّونا في العلانية، وطبقة يحبّونا في السرّ والعلانية هم النمط الأعلى. والطبقة الثانية: النمط الأسفل أحبّونا في العلانية

وساروا بسيرة الملوك، فألسنتهم معنا وسيوفهم علينا. والطبقة الثالثة: النمط الأسود، أحبّونا في السرّ ولم يحبّونا في العلانية، ولعمري لئن كانوا أحبّونا في السرّ دون العلانية فهم الصوّامون بالنهار القوّامون بالليل ترى أثر الرهبانية في وجوههم، هم أهل سلم وانقياد. قال الرجل: فأنا من محبّيكم في السرّ والعلانية. قال جعفر عليه السلام: إنّ لمحبّينا في السرّ والعلانية علامات يعرفون بها، قال الرجل: وما تلك العلامات؟ قال عليه السلام: تلك خلال، أوّلها: أنّهم عرفوا التوحيد حقّ معرفته، وأحكموا علم توحيده...

١٦ ـ وقال عليه السلام:

يا معشر الشيعة، إنّكم قد نسبتم إلينا، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً.

١٧ ـ عنه عليه السلام:

رحم الله عبداً حبّبنا إلى الناس ولا يبغّضنا إليهم، وأيم الله لو يرون محاسن كلامنا لكانوا أعزّ، وما استطاع أحد أن يتعلّق عليهم بشيء.

١٨ ـ عنه عليه السلام:

يا عبد الأعلى... فاقرأهم السلام ورحمة الله ـ يعني الشيعة ـ وقل: قال لكم: رحم الله عبداً استجرّ مودّة الناس إلى نفسه وإلينا، بأن يظهر لهم ما يعرفون، ويكفّ عنهم ما ينكرون.

١٩ ـ وقال عليه السلام:

معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، احفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول وقبيح القول.

وفي هذا المضمار روايات كثيرة لم نتعرّض لها طلباً للاختصار، كما هناك

طائفة من الروايات تتضمّن أنّ من أصحاب الأئمة عليهم السلام من ادّعى أنّه من الشيعة، فأنكر الأئمة عليهم السلام عليهم ذلك، وهذا باعتبار الشيعة بالمعنى الخاصّ، فنفيهم ـ كما ذكرنا ـ من نفي الكمال، ولا يدلّ على بطلانهم، وإن كانوا في ضلال لتوقّفهم عن المسير في معرفة أئمتهم وإطاعتهم والاقتداء بهم في كلّ شيء، وهؤلاء تنفعهم شفاعة الشافعين ورحمة أهل البيت عليهم السلام.

ولا يخفى أنّ الشفاعة سارية في كلّ المراحل والدوائر، فلمّا كان المقصود هو الله سبحانه وأنّه الأوّل والآخر، الظاهر والباطن، فلا يمكن الوصول إليه والفناء فيه إلّا بشفاعة منه، حتّى الأنبياء والأولياء، وأشرف خلق الله سبحانه، فإنّه يفتقر إلى الغنى بالذات عزّ وجلّ، ويحتاج إلى شفاعته ولطفه الخاصّ، فتدبّر.

ثمّ هؤلاء الشيعة الكرام يعبّر عنهم في كثير من الروايات الشريفة بالمحبّين والموالين، فإنّهم يمتازون بحبّ أهل البيت وبحبّ سيّدهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ الإيمان بولايتهم التكوينيّة والتشريعيّة، والبراءة من أعدائهم وغاصبي حقوقهم ومنكري فضائلهم ومنازلهم الرفيعة، وهم من أهل النجاة يوم القيامة، فإنّهم لا يخلّدون في النار، وإن كان يصيبهم الأذى والآلام في حياتهم، حتّى كادت أن تكون الدنيا سجنهم، كفّارةً لذنوبهم وآثامهم، وربما ينالهم شيء من عذاب البرزخ والآلام في القبر، فإنّه إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران، وربما تصيبهم أهوال يوم القيامة من حرّها وعطشها وخوفها ورعبها تطهيراً لهم، فإنّهم بعد الحساب إن دخلوا النار للتطهير وتكفير الذنوب، فإنّهم يخرجون منها ويدخلون جنّات الله برحمته الواسعة وبشفاعة رسوله الأعظم

محمّد وأهل بيته الأطهار الأئمة المعصومين الأبرار عليهم السلام.

هذا ما توصّلنا إليه جمعاً بين الأخبار الكثيرة والآيات الشريفة وما جاء في تفاسيرها وتأويلها في هذا المضمار، فالفرقة الناجية من عذاب الآخرة ومن الخلود في نار جهنّم هي الفرقة التي توالي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والأوصياء من بعده.

٢٠ ـ عن كتاب المناقب لابن شاذان، بإسناده عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، إنّ جبرئيل أخبرني فيك بأمرٍ قرّت به عيني وفرح به قلبي، قال لي: يا محمّد، إنّ الله تعالى قال لي: اقرأ محمّداً منّي السلام، وأعلمه أنّ عليّاً إمام الهدى ومصباح الدجى والحجّة على أهل الدنيا، فإنّه الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم، وإنّي آليت بعزّتي أن لا أُدخل النار أحداً تولّاه وسلّم له وللأوصياء من بعده، ولا أُدخل الجنّة من ترك ولايته والتسليم له وللأوصياء من بعده، وحقّ القول منّي لأملأنّ جهنّم وأطباقها من أعدائه، ولأملأنّ الجنّة من أوليائه وشيعته[1].

٢١ ـ عن سهل بن سعد، قال: بينا أبو ذرّ قاعد مع جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وكنت يومئذٍ فيهم إذ طلع علينا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فرماه أبو ذرّ بنظره، ثمّ أقبل على القوم بوجهه فقال: من لكم برجل محبّته تساقط الذنوب عن محبّيه، كما تساقط الريح العاصف الهشيم من الورق عن الشجر؟ سمعت نبيّكم صلى الله عليه وآله يقول له ذلك.

---

(١) البحار ٢٧: ١١٤.

قالوا: من هو يا أبا ذرّ؟

قال: هو الرجل المقبل إليكم ابن عمّ نبيّكم سمعته يقول: عليّ باب علمي ومبيّن لأُمّتي ما أُرسلت به من بعدي، حبّه إيمان وبغضه نفاق والنظر إليه برأفة ومودّة عبادة. وسمعت رسول الله ﷺ يقول: مثل أهل بيتي في أُمّتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن رغب عنها هلك[١].

٢٢ ـ عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: من صافح عليّاً فكأنّما صافحني، ومن صافحني فكأنّما صافح أركان العرش، ومن عانقه فكأنّما عانقني، ومن عانقني فكأنّما عانق الأنبياء كلّهم، ومن صافح محبّاً لعليّ غفر الله له الذنوب وأُدخل الجنّة بغير حساب[٢].

٢٣ ـ عن أبي الصلت الهروي، قال: سمعت الرضا عليه السلام يحدّث عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت الله جلّ جلاله يقول: عليّ بن أبي طالب حجّتي على خلقي ونوري في بلادي وأميني على علمي، لا أُدخل النار من عرفه وإن عصاني، ولا أُدخل الجنّة من أنكره وإن أطاعني[٣].

٢٤ ـ عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد دخول الجنّة بغير حساب فليحبّ أهل بيتي، فوالله ما أحبّهم أحد إلّا ربح في الدنيا والآخرة[٤].

(١) البحار ٢٧: ١١٣، عن كنز الكراجكي: ٢١٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

٢٥ ـ عن سلمان الفارسي، قال: قال رسول الله ﷺ: يا سلمان، من أحبّ فاطمة ابنتي فهو في الجنّة معي، ومن أبغضها فهو في النار.

يا سلمان، حبّ فاطمة ينفع في مئة موطن أيسر تلك المواطن الموت والقبر والميزان والمحشر والصراط والمحاسبة، فمن رضيت عنه ابنتي فاطمة رضيتُ عنه، ومن رضيتُ عنه رضي الله عنه، ومن غضبت عليه فاطمة غضبت عليه، ومن غضبت عليه غضب الله عليه.

يا سلمان، ويلٌ لمن يظلمها ويظلم ذرّيتها وشيعتها[١].

٢٦ ـ قيل للصادق عليه السلام: إنّ فلاناً يواليكم إلّا أنّه يضعف عن البراءة من عدوّكم، فقال: هيهات، كذب من ادّعى محبّتنا ولم يتبرّأ من عدوّنا.

٢٧ ـ عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال أبو جعفر الإمام الباقر عليه السلام: يا أبا حمزة، إنّما يعبد الله من عرف الله، وأمّا من لم يعرف كأنّما يعبد غيره هكذا[٢] ضالاً.

قلت: أصلحك الله، وما معرفة الله؟

قال: يصدّق الله ويصدّق محمّداً رسول الله ﷺ في موالاة عليّ والائتمام به وبأئمة الهدى من بعده، والبراءة إلى الله من عدوّهم، وكذلك عرفان الله.

قال: قلت: أصلحك الله أي شيء إذا عملته أنا استكملت حقيقة الإيمان؟

(١) المصدر نفسه.

(٢) قال العلّامة المجلسي في بيانه: هكذا كأنّه عليه السلام أشار إلى الخلف أو اليمين أو الشمال أي حاد عن الطريق الموصل إلى النجاة فلا يزيده كثرة العمل إلّا بعداً عن المقصود، كمن ضلّ عن الطريق ...

قال : توالي أولياء الله وتعادي أعداء الله وتكون مع الصادقين كما أمرك الله.

قال : قلت : ومَن أولياء الله ؟

فقال : أولياء الله محمّد رسول الله وعليّ والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ثمّ انتهى الأمر إلينا ثمّ ابني جعفر ـ وأومأ إلى جعفر وهو جالس ـ فمن والى هؤلاء فقد والى أولياء الله وكان مع الصادقين كما أمره الله ـ في قوله تعالى : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[1] ـ.

قلت : ومَن أعداء الله أصلحك الله ؟

قال : الأوثان الأربعة ـ الذين ورد لعنهم بالخصوص في زيارة عاشوراء ـ.

قال : قلت : ومَن هم ؟

قال : أبو الفصيل ـ كناية عن الأوّل ـ ورمع ونعثل ومعاوية ومن دان بدينهم، فمن عادى هؤلاء فقد عادى أعداء الله[2].

٢٨ ـ في خبر الأعمش عن الإمام الصادق لسان الله الناطق عليه السلام قال : حبّ أولياء الله واجب، والولاية لهم واجبة، والبراءة من أعدائهم واجبة ومن الذين ظلموا آل محمّد صلّى الله عليهم وهتكوا حجابه وأخذوا من فاطمة عليها السلام فدك ومنعوها ميراثها وغصبوها وزوجها حقوقهما وهمّوا بإحراق بيتها وأسّسوا الظلم وغيّروا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله والبراءة من الناكثين والقاسطين والمراقين واجبة، والبراءة من الأنصاب والأزلام أئمة الضلال وقادة الجور كلّهم أوّلهم

(١) التوبة : ١١٩.

(٢) البحار ٢٧ : ٥٨، عن تفسير العيّاشي ٢ : ١١٦.

وآخرهم واجبة، والبراءة من أشقى الأوّلين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود قاتل أمير المؤمنين عليه السلام واجبة، والبراءة من جميع قتلة أهل البيت عليهم السلام واجبة.

والولاية للمؤمنين الذين لم يغيّروا ولم يتبدّلوا بعد نبيّهم صلى الله عليه وآله واجبة، مثل سلمان الفارسي وأبي ذرّ الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي وعمّار بن ياسر وجابر بن عبد الله الأنصاري وحذيفة بن اليمان وأبي الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وأبي أيّوب الأنصاري وعبد الله بن الصامت وعبادة بن الصامت وخزيمة ابن ثابت ذي الشهادتين وأبي سعيد الخدري ومن نحا نحوهم وفعل مثل فعلهم والولاية لأتباعهم والمقتدين بهم وبهداهم واجبة[1].

ثمّ لا يخفى أنّ الأحاديث الشريفة في هذا المعنى كثيرة جدّاً بلغت حدّ التواتر والقطع، فلا يناقش في سندها، فإنّها وإن كانت بعضها ضعيفة الإسناد، إلّا أنّ مجموعها من حيث المضمون الواحد يكون من الخبر المتواتر معنىً وإجمالاً، فيفيد العلم والقطع واليقين.

راجع بحار الأنوار للعلّامة المجلسي قدس سره من المجلّد ٢٣ إلى المجلّد ٢٨ كتاب الإمامة، وكذلك ما بعدها من المجلّدات، وراجع الباب الأوّل من أبواب ولايتهم وحبّهم وبغضهم صلوات الله عليهم، في وجوب موالاة أوليائهم ومعاداة أعدائهم، ففي الباب (٢٢) رواية، والباب الرابع في ثواب حبّهم ونصرهم وولايتهم، وأنّها أمان من النار، وفي الباب (١٥٥) رواية، وكذلك الأبواب

(١) البحار ٣ : ٥٢، عن الخصال للشيخ الصدوق ٢ : ١٥٣.

الأُخرى.

٢٩ ـ وإليك الرواية الأخيرة من الباب الأوّل: عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا عليّ، أنت أمير المؤمنين وإمام المتّقين.

يا عليّ أنت سيّد الوصيّين ووارث علم النبيّين وخير الصدّيقين وأفضل السابقين.

يا عليّ، أنت زوج سيّدة نساء العالمين وخليفة خير المرسلين.

يا عليّ، أنت مولى المؤمنين والحجّة بعدي على الناس أجمعين، استوجب الجنّة من تولّاك، واستوجب دخول الجنّة من عاداك.

يا عليّ، والذي بعثني بالنبوّة واصطفاني على جميع البريّة، لو أنّ عبداً عَبَدَ الله ألف عام ما قبل ذلك منه إلّا بولايتك وولاية الأئمة من ولدك، وإنّ ولايتك لا تقبل إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك، بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر[1].

ثمّ من كان في (دائرة الإيمان) أي التشيّع بالمعنى العامّ، فإنّه سيكون في دائرة الإسلام بالمعنى الأخصّ أيضاً[2]، فالتشيّع العامّ (أي الفرقة الناجية) يكون محور الإسلام وأساسه، ويمتاز معتنقه ومن كان في الدائرة بحبّ أهل البيت الأئمة المعصومين عليهم السلام والإيمان بولايتهم والبراءة من أعدائهم.

٣٠ ـ وبهذا ورد عن شيخنا المفيد قدس سره بسنده عن جابر عن أبي جعفر الإمام

(١) البحار ٢٧ : ٦٣، عن كنز الكراجكي : ١٨٥.

(٢) راجع دوائر الهدى والضلال في آخر الكتاب.

الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: لمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله مناسكه من حجّة الوداع ركب راحلته وأنشأ يقول: «لا يدخل الجنّة إلّا من كان مسلماً» فقام إليه أبو ذرّ الغفاري رحمه الله فقال: يا رسول الله، وما الإسلام؟ فقال عليه السلام: الإسلام عريان ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وملاكه الورع، وكماله الدين ـ أي العقيدة الصحيحة ـ، وثمرته العمل، ولكلّ شيء أساس وأساس الإسلام حبّنا أهل البيت[1].

٣١ ـ كنز الفوائد للكراجكي، بسنده عن جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ أنت أمير المؤمنين وإمام المتّقين، يا عليّ، أنت سيّد الوصيّين ووارث علم النبيّين وخير الصدّيقين وأفضل السابقين، يا عليّ، أنت زوج سيّدة نساء العالمين وخليفة خير المرسلين، يا عليّ، أنت مولى المؤمنين والحجّة بعدي على الناس أجمعين، استوجب الجنّة من تولّاك، واستوجب دخول النار من عاداك. يا عليّ، والذي بعثني بالنبوّة واصطفاني على جميع البريّة لو أنّ عبداً عبد الله ألف عام ما قبل ذلك منه إلّا بولايتك وولاية الأئمة من ولدك، وأنّ ولايتك لا تقبل إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك، بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر[2].

وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام مع الحقّ والحقّ معه أينما دار يدور.

٣٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من فارق جماعة المسلمين فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، فقيل: يا رسول الله، وما جماعة المسلمين؟ قال: جماعة أهل

(١) المصدر : ٨٢، عن أمالي ابن الشيخ : ٥٢.

(٢) البحار ٢٧ : ٦٣.

الحقّ وإن قلّوا[١].

٣٣ ـ قال الله تعالى في دعاء إبراهيم الخليل عليه الرحمة: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[٢]، عن الإمام الباقر عليه السلام فيما رواه العيّاشي أنّه قال: لم يعنِ الناس كلّهم، أنتم أُولئك ونظراؤكم، إنّما مثلكم في الناس مثل الشعرة البيضاء في الثور الأسود.

٣٤ ـ وفي الكافي، عنه عليه السلام: ولم يعنِ البيت فيقول إليه، فنحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام.

٣٥ ـ وفي الاحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام: والأفئدة من الناس تهوي إلينا، وذلك دعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾.

٣٦ ـ عن النعمان بن عمر والجعفي، عن محمّد بن إسماعيل الجعفي، قال: دخلت أنا وعمّي الحصين بن عبد الرحمن على أبي عبد الله عليه السلام فأدناه وقال: من هذا معك؟ قال: ابن أخي إسماعيل. فقال: رحم الله إسماعيل وتجاوز عنه سيّء عمله، كيف خلفتموه؟ قال: بخير ما أبقى الله لنا مودّتكم. فقال: يا حصين، لا تستصغروا مودّتنا، فإنّها من الباقيات الصالحات. قال: يا بن رسول الله ما استصغرتها ولكن أحمد الله عليها[٣].

٣٧ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته كتب الله

(١) البحار ٢٧: ٦٧، عن أمالي الصدوق: ٢٠١.

(٢) إبراهيم: ٣٧.

(٣) البحار ٢٧: ٧٥، عن الاختصاص: ٨٥.

عزّ وجلّ له من الأمن والإيمان ما طلعت عليه شمس وغربت، ومن أبغضه في حياته بعد موته مات موتة جاهليّة وحوسب بما عمل[١].

٣٨ ـ عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا عليّ، ما ثبت حبّك في قلب امرئ مؤمن فزلّت به قدم على الصراط إلّا ثبتت له قدم حتّى يدخله الله عزّ وجلّ بحبّك الجنّة[٢].

٣٩ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: من أحبّنا نفعه الله بذلك ولو كان أسيراً في يد الديلم، ومن أحبّنا لغير الله فإنّ الله يفعل ما يشاء، إنّ حبّنا أهل البيت ليحطّ الدنوب عن العباد كما تحطّ الريح الشديدة الورق عن الشجر[٣].

٤٠ ـ عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من رزقه الله حبّ الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، فلا يشكّنّ أحد أنّه في الجنّة، فإنّ في حبّ أهل بيتي عشرين خصلة، عشر منها في الدنيا وعشر في الآخرة:

أمّا في الدنيا: فالزهد، والحرص على العمل، والورع في الدين، والرغبة في العبادة، والتوبة قبل الموت، والنشاط في قيام الليل، واليأس ممّا في أيدي الناس، والحفظ لأمر الله ونهيه عزّ وجلّ، والتاسعة بغض الدنيا، والعاشرة السخاء.

وأمّا في الآخرة: فلا ينشر له ديوان، ولا ينصب له ميزان، ويعطى كتابه بيمينه، ويكتب له براءة من النار، ويبيّض وجهه، ويكسى من حلل الجنّة، ويشفّع

(١) علل الشرائع: ٥٩.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٤٨.

(٣) ثواب الأعمال.

في مائة من أهل بيته، وينظر الله عزّ وجلّ إليه بالرحمة، ويتوّج من تيجان الجنّة، والعاشرة يدخل الجنّة بغير حساب. فطوبى لمحبّي أهل بيتي[١].

٤١ ـ عن الإمام الرضا، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن يتمسّك بالعروة الوثقى فليتمسّك بحبّ عليّ وأهل بيتي[٢].

٤٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، إنّ الله قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ومحبّي شيعتك ومحبّي محبّي شيعتك، فابشر فإنّك الأنزع البطين، منزوع من الشرك، بطين من العلم[٣].

٤٣ ـ عن بريد بن معاوية العجلي، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه قادم من خراسان ماشياً، فأخرج رجليه وقد تغلّفتا وقال: ما والله ما جاء بي من حيث جئت إلّا حبّكم أهل البيت، فقال أبو جعفر عليه السلام: والله لو أحبّنا حجر حشره الله معنا، وهل الدين إلّا الحبّ؟ إنّ الله يقول: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[٤]، وقال: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾[٥]، وهل الدين إلّا الحبّ[٦].

٤٤ ـ عن أبي عبيد الحذّاء، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت: بأبي

(١) الخصال ٢: ٩٩.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢٢٠.

(٣) العيون: ٢١١.

(٤) آل عمران: ٣١.

(٥) الحشر: ٩.

(٦) تفسير العيّاشي ١: ١٦٧.

أنت ربما خلا بي الشيطان فخبثت نفسي ثمّ ذكرت حبّي إيّاكم وانقطاعي إليكم فطابت نفسي، فقال: يا زياد ويحك وما الدين إلّا الحبّ، ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[١].

٤٥ ـ عن الحسين بن عليّ عليهما السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الزموا مودّتنا أهل البيت، فإنّه من لقي الله عزّ وجلّ وهو يحبّنا دخل الجنّة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينتفع عبد بعمله إلّا بمعرفتنا[٢].

٤٦ ـ وعن الحسن بن عليّ عليهما السلام، قال: من أحبّنا بقلبه ونصرنا بيده ولسانه فهو معنا في الغرفة التي نحن فيها، ومن أحبّنا بقلبه ونصرنا بلسانه فهو دون ذلك بدرجة، ومن أحبّنا بقلبه وكفّ بيده ولسانه فهو في الجنّة[٣].

٤٧ ـ عن عبد الله بن مسعود، قال: كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله في بعض أسفاره إذ هتف بنا أعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمّد. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: ما تشاء؟ فقال: المرء يحبّ القوم ولا يعمل بأعمالهم. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: المرء مع من أحبّ. فقال: يا محمّد، اعرض عليَّ الإسلام. فقال: اشهد أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحجّ البيت. فقال: يا محمّد، تأخذ على هذا أجراً؟ فقال: لا إلّا المودّة في القربى. قال: قرباي أو قرباك؟ قال: بل قرباي. قال: هلمّ يدك حتّى أُبايعك، لا خير في مَن يودّك ولا يودّ قرباك.

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) مجالس المفيد: ٧.

(٣) المصدر نفسه: ٢٠.

يا رسول الله، ونحن نبايعك على حبّ الله ومودّتك ومودّة قُرباك وولاية الأئمة الأطهار من أهل بيتك عليهم السلام، ونتبرّأ من أعدائكم، فإنّا علمنا وثبت عندنا أنّ النجاة في الدنيا والآخرة بموالاتكم والبراءة من أعدائكم وإطاعتكم، فمعكم معكم لا مع عدوّكم. اللهمّ اشهد وثبّتنا بالقول الثابت على الحقّ والإيمان والعمل بالأركان، وأمتنا على ولاية العترة والقرآن، واحشرنا مع محمّد وآله الطاهرين.

هذا، وقد جعل الله والرسول الأكرم والعترة الطاهرة عليهم السلام علائم ورموزاً ظاهريّة واعتقادية لتمييز هذه الفرقة الناجية عن غيرهم.

٤٨ ـ فمنها: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا خلق الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام كشف عن بصره، فرأى نوراً إلى جنب العرش فقال: إلهي ما هذا النور؟

قال: يا إبراهيم، هذا نور محمّد صفوتي من خلقي.

ـ وساق الخبر إلى أن قال: ـ

فقال إبراهيم عليه السلام: إنّي أرى أنواراً قد أحدقوا بهم، لا يحصي عددهم إلّا أنت؟

قال: يا إبراهيم، هذه أنوار شيعتهم، شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقال: فبما تعرف شيعته؟

قال: بصلاة إحدى وخمسين ـ ١٧ اليوميّة و ٣٤ النوافل ـ والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، والقنوت قبل الركوع، وتعفير الجبين، والتختّم باليمين[1].

(١) مستدرك الوسائل ٣: ٢٩٢، الحديث ١٣. البحار ٨٥: ٨٤.

وأمّا غيرهم، فعندهم صلاة التراويح، وإسقاط البسملة في حمد صلاتهم أو الإخفات بها، وعدم القنوت، وعدم السجود على التراب بل يسجدون على الفرش وما شابه، ويتختّمون بيسارهم إحياءً لبدعة سيّدهم معاوية بن أبي سفيان وما فعله عمرو بن العاص في قصّة التحكيم وتختّمه بالشمال، جعلنا الله وإيّاكم من أصحاب اليمين، المتمسّكين بولاية أمير المؤمنين عليّ سيّد الوصيّين وأهل بيته الطاهرين.

الثالثة ـ الشيعة بالمعنى الخاصّ

وهؤلاء هم المؤمنون الكمّلون العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الأتقياء الأبرار، الذين ورد صفاتهم في الأحاديث الشريفة، أنّهم عمش العيون من البكاء، صُفر الوجوه من السهر في طاعة الله، خمص البطون من الجوع، سيماهم في وجوههم من أثر السجود... كأمثال سلمان المحمّدي رضوان الله تعالى عليه، فإنّه من أهل البيت والموالي والشيعي المتفاني في ولاء أمير المؤمنين عقلاً وروحاً وجسداً، والأئمة عليهم السلام في خطابهم إيّاهم ينسبونهم إليهم بقولهم عليهم السلام: (شيعتنا).

١ ـ قال الإمام العسكري عليه السلام:

شيعة عليّ عليه السلام هم الذين لا يبالون في سبيل الله، أوقع الموت عليهم أو وقعوا على الموت، وشيعة عليّ عليه السلام هم الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وهم الذين لا يراهم الله حيث نهاهم، ولا يفقدهم من حيث أمرهم، وشيعة عليّ عليه السلام هو الذين يقتدون بعلي في إكرام إخوانهم المؤمنين.

٢ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام :

شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكّون أموالهم، ويحجّون البيت، ويجتنبون كلّ محرّم.

٣ ـ وعنه عليه السلام :

شيعتنا من قدّم ما استحسن وأمسك ما استقبح، وأظهر الجميل، وسارع بالأمر الجليل، رغبة إلى رحمة الجليل، فذاك منّا وإلينا ومعنا حيثما كنّا.

٤ ـ وقال الإمام الباقر عليه السلام :

ما شيعتنا إلّا من اتّقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلّا بالتواضع والتخشّع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله.

٥ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام :

شيعتنا هم الشاحبون الذابلون الناحلون الذين إذا جنّهم الليل استقبلوه بحزن.

٦ ـ عنه عليه السلام :

إنّما شيعة عليّ من عفّ بطنه وفرجه، واشتدّ جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أُولئك فأُولئك شيعة جعفر.

٧ ـ وقال الإمام الباقر عليه السلام :

لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلّا من أطاع الله عزّ وجل.

٨ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

شيعتي والله، الحلماء العلماء بالله ودينه، العاملون بطاعته وأمره، المهتدون

بحبّه، أنضاء عبادة، أحلاس زهادة، صفر الوجوه من التهجّد، عمش العيون من البكاء، ذبل الشفاه من الذكر، خمص البطون من الطوى، تعرف الربّانية في وجوههم، والرهبانية في سمتهم، مصابيح كلّ ظلمة... إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، أُولئك شيعتي الأطيبون وإخواني الأكرمون، ألا هاه شوقاً إليهم.

٩ ـ عنه عليه السلام :

شيعتنا المتباذلون في ولايتنا، المتحابّون في مودّتنا، المتزاورون في إحياء أمرنا، الذين إن غضبوا لم يظلموا، وإن رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا، وسلم لمن خالطوا.

١٠ ـ عنه عليه السلام :

إنّ الله تعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبذلون أنفسهم وأموالهم فينا، فأُولئك منّا وإلينا وهم معنا في الجنان.

١١ ـ عن الإمام الحسن عليه السلام في جواب رجل قال له : إنّي من شيعتكم قال :

يا عبد الله إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك، فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها، لا تقل : أنا من شيعتكم، ولكن قل : أنا من مواليكم ومحبّيكم ومعادي أعدائكم وأنت في خير وإلى خير.

١٢ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

شيعتنا هم العارفون بالله، العاملون بأمر الله، أهل الفضائل، الناطقون

بالصواب، مأكولهم القوت، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع ... تحسبهم مرضى وقد خولطوا وما هم بذلك، بل خامرهم من عظمة ربّهم وشدّة عقولهم، فإذا اشتاقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزكيّة، لا يرضون له بالقليل، ولا يستكثرون له الجزيل.

١٣ ـ عن الإمام الكاظم عليه السلام لموسى بن بكر الواسطي قال:

لو ميّزت شيعتي لم أجدهم إلّا واصفة ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلّا مرتدّين، ولو تمحّصتهم لما خلص من الألف واحد، ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم إلّا ما كان لي، إنّهم طال ما اتّكوا على الأرائك فقالوا: نحن شيعة علي، إنّما شيعة عليّ من صدّق قوله فعله.

١٤ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام لنوف البكائي: أتدري يا نوف من شيعتي؟ قال: لا والله، قال: شيعتي الذبل الشفاه، الخمص البطون، الذين تعرف الرهبانية في وجوههم، رهبان بالليل أُسد بالنهار.

وهؤلاء الشيعة الكاملون هم الفائزون، وإنّهم جيران رسول الله يوم القيامة.

١٥ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

شيعة عليّ هم الفائزن يوم القيامة.

١٦ ـ وقال لعليّ عليه السلام:

ترد شيعتك يوم القيامة رواء غير عطاش، ويردّ عدوّك عُطاشاً يستسقون فلا يُسقون.

وربما من فضائل الشيعة بالمعنى العام، وربما يكون من المعنى الخاصّ:

١٧ ـ قال صلى الله عليه وآله:

يا عليّ، هذا حبيبي جبرئيل يخبرني عن الله جلّ جلاله إنّه قد أعطى محبّتك وشيعتك سبع خصال: الرفق عند الموت، والأُنس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنّة قبل سائر الناس من الأُمم بثمانين عاماً.

١٨ ـ عنه صلى الله عليه وآله:

توضع يوم القيامة منابر حول العرش لشيعتي وشيعة أهل بيتي المخلصين في ولايتنا. ويقول الله عزّ وجلّ: هلّموا يا عبادي إليّ لأنشرنّ عليكم كرامتي، فقد أُوذيتم في الدنيا.

١٩ ـ وقال صلى الله عليه وآله وقد سأله ابن عباس عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[1]، قال لي جبرئيل: ذاك عليّ وشيعته، هم السابقون إلى الجنّة، المقرّبون من الله بكرامته لهم[2].

الرابعة ـ الشيعة بالمعنى الأخصّ

ويطلق على كبار الأنبياء والملائكة المقرّبين، فإنّه كان إبراهيم الخليل عليه السلام من شيعة أمير المؤمنين، كما ورد في ذيل الآية الشريفة في تأويلها: ﴿ وَإِنَّ مِنْ

---

(١) الواقعة: ١٠ ـ ١١.

(٢) نقلنا الروايات من ميزان الحكمة، كلمة (الشيعة)، فراجع.

شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾[1].

روى الشيخ الطوسي بأسانيده المفصّلة، قال: سأل جابر بن يزيد الجعفي الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير هذه الآية الشريفة ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾، فقال عليه السلام: إنّ الله سبحانه لمّا خلق إبراهيم عليه السلام كشف له عن بصره فنظر فرأى نور إلى جنب العرش فقال: إلهي ما هذا النور؟ فقيل له: هذا نور محمّد صلى الله عليه وآله صفوتي من خلقي، ورأى نوراً إلى جنبه فقال: إلهي، وما هذا النور؟ فقيل له: هذا نور عليّ عليه السلام، ناصر ديني، ورأى إلى جنبهما ثلاثة أنوار فقال: وما هذه الأنوار؟ فقيل له: هذا نور فاطمة عليها السلام، فطمت محبّيها من النار، ونور ولديها الحسن والحسين عليهما السلام، فقال: إلهي، وأرى تسعة أنوار قد حفّوا بهم؟ قيل: يا إبراهيم، هؤلاء من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام. فقال إبراهيم عليه السلام: إلهي بحقّ هؤلاء الخمسة إلّا ما عرّفتني من التسعة؟ فقيل: يا إبراهيم، أوّلهم عليّ بن الحسين، وابنه محمّد، وابنه جعفر، وابنه موسى، وابنه عليّ، وابنه محمّد، وابنه عليّ، وابنه الحسن، والحجّة القائم عليهم السلام. فقال إبراهيم: إلهي وسيّدي، أرى أنواراً قد أحدقوا بهم[2] ولا يحصي عددهم إلّا أنت؟ قيل: يا إبراهيم، هؤلاء شيعتهم، شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقال إبراهيم عليه السلام: وبماذا تعرف شيعته؟ فقال: بصلاة إحدى وخمسين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، والقنوت قبل الركوع، والتختّم باليمين. فعند ذلك قال إبراهيم: اللهمّ اجعلني من

(١) الصافّات: ٨٣.

(٢) من قوله عليه السلام: (قد أحدقوا بهم) ذهبنا إلى الدوائر واصطلحنا في العنوان (دوائر التشيّع). كما أنّ الدائرة أبسط الأشياء ولها مركز، ومركز الدوائر كلّها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

شيعة أمير المؤمنين. قال: فأخبر الله في كتابه فقال: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾[1].

فهؤلاء خلقوا من فاضل طينتهم، ومن أرواحهم وأنوارهم كما ورد في الأحاديث الشريفة، ثمّ من نور هؤلاء وطينتهم خلق أصحاب الدائرة الثالثة، ومن الثالثة الثانية، ومن الثانية الأُولى... وهكذا.

ثمّ الطبقة الأُولى بالنسبة إلى الثانية باعتبار بعدهم عن الحقّ ينسب إليهم الضلال بالمعنى الأعمّ، لو توقّفوا في تشيّعهم وقالوا بالإفراط (الغالي) أو التفريط (التالي)، وكذلك الطبقة الثانية بالنسبة إلى الرتبة والدائرة الثالثة. فالمقصود أن نكون في تشيّعنا كسلمان المحمّدي سلام الله عليه، إذ كلّفنا الله بذلك. ولا يكلّف نفساً إلّا وسعها، وهذا يعني أنّه بوسعنا أن نصل إلى مقام سلمان رضوان الله عليه، وإن كان من الصعب المستصعب.

فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

الناس كلّهم هلكى إلّا العلماء، والعلماء كلّهم هلكى إلّا العاملون، والعاملون كلّهم هلكى إلّا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيم.

ولكن من أخلص لله ووصل إلى درجة (المخلَصين) ـ بفتح اللام ـ كما في قوله تعالى على لسان الشيطان الرجيم:

﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[2].

(١) القطرة في مناقب النبيّ والعترة؛ للسيّد أحمد المستنبط ١: ٤٠، وراجع البحار روايات عديدة بهذا المضمون.

(٢) ص: ٨٢ ـ ٨٣.

فهؤلاء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإنّهم بعلمهم وزهدهم وصبرهم وصلوا إلى درجة العصمة، فإنّ ثمرة العلم العصمة، إلّا أنّها إمّا ذاتية كلّية كما في الأنبياء والأوصياء، أو أفعاليّة جزئيّة كما في العلماء والأولياء[١].

فأمير المؤمنين عليّ عليه السلام هو المحور وقطب الحقّ والهداية، والدائرة التي تحدق به هي دائرة التشيّع بالمعنى الأخصّ، وهي دائرة الأنبياء والأوصياء، دائرة العصمة الذاتية. ثمّ الدائرة التي بعدها هي دائرة العلماء المخلصين، وهم الشيعة الكمّلون، دائرة أمثال سلمان المحمّدي سلام الله عليه، والدائرة الثالثة التي تلي دائرة التشيّع بالمعنى الخاصّ هي دائرة التشيّع بالمعنى العامّ، وهي الفرقة الناجية من الفِرق والمذاهب التي حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كما ورد عنه صلى الله عليه وآله عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ أنّه: قال صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا أبا الحسن، إنّ أُمّة موسى افترقت على إحدى وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وإنّ أُمّة عيسى افترقت على اثنين وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وإنّ أُمّتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن الفرقة الناجية؟ فقال صلى الله عليه وآله: المتمسّك بما أنت وأصحابك عليه[٢].

قال المحقّق الأعظم خواجة نصير الدين الطوسي قدس سره: لقد اشترك جميع مذاهب المسلمين في الأُصول المعتبرة في الإيمان، إلّا الفرقة الإمامية، فإنّهم

(١) ذكرت تفصيل ذلك في (فاطمة الزهراء سرّ الوجود)، و (عصمة الحوراء زينب)، و (في رحاب وليد الكعبة)، وفي غيرها، فراجع.

(٢) مقدّمة الإيضاح: شرح القواعد لفخر المحقّقين.

اختلفوا مع المذاهب الأُخرى، فلو كان فرقة واحدة من أُولئك المذاهب ناجية، لكانت كلّ الفرق والمذاهب ناجية لاشتراكها في أُصول الإيمان، فيلزم أن تكون الفرقة الوحيدة الناجية، هي التابعة لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

ثمّ أجمع المسلمون: أنّ من قال الشهادتين (أشهد أن لا إله إلّا الله، أشهد أنّ محمّداً رسول الله) فهو من أهل النجاة، لما يروون عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه من قال: لا إله إلّا الله دخل الجنّة. أمّا الإماميّة الاثنا عشرية فقد أجمعوا أنّه لا يكفي ذلك في النجاة، إلّا بولاية أهل البيت الإثنا عشر عليهم السلام، والبراءة من أعدائهم، كما ورد في حديث سلسلة الذهب عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام: «لا إله إلّا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي»، ثمّ قال عليه السلام: «بشرطها وشروطها، وأنا من شروطها»، فالتوحيد الكامل ما كان فيه النبوّة والإمامة، فالفرقة الوحيدة الناجية هي أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهم الداخلون ضمن الدائرة الثالثة، ويعرفون بعقائدهم الحقّة بعد الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله: الإيمان بإمامة الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام أوّلهم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وآخرهم صاحب الزمان المهدي بن الإمام الحسن العسكري عليهما السلام، وإنّه حيّ يرزق سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، ويجب ولايتهم ومودّتهم وإنّهم مفروضوا الطاعة، كما يجب البراءة من أعدائهم، والإيمان بعلمهم اللدنّي، وعصمتهم الذاتيّة، وبشفاعتهم.

ولكي نكمل في الهداية لا بدّ من السير والسلوك لنصل إلى الدائرة الثانية التي تالي تلو الدائرة الأُولى (دائرة العصمة الذاتيّة)، وكما ذكرنا، بإمكان كلّ واحد منّا أن يكون سلمان زمانه، لأنّ الله كلّفنا بما كلّف سلمان من الإيمان والأعمال، إلّا أنّه منّا من اتّبع هواه ومنّا من كانت قبلته نساءه، ودينه دنانيره، ولم

يحمل من الإسلام والتشيّع إلّا اسمه، فحجبت الذنوب والمعاصي أن نصل إلى دائرة سلمان المحمّدي رضوان الله تعالى عليه.

فمن توقّف عن المسير أو انحرف عن الجادّة، أو قصّر في معرفة الأئمة عليهم السلام وطلب الهداية من غيرهم، أو مال إلى أعدائهم أو تودّد إليهم، أو أنكر فضائل أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم ومعاجزهم، فقد ضلّ، وإذا أشاع ما يجهله، وتبعه بعض، أو أثار الشبهات والشكوك حول مسلّمات الشيعة بحجّة الانفتاح غروراً وجهلاً فإنّه يكون من المضلّين أيضاً.

وهل بعد الحقّ إلّا الضلال المبين.

أعاذنا الله وإيّاكم من الضلال والإضلال.

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ ﴾[1].

﴿ الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ ﴾[2].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[3].

﴿ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[4].

﴿ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[5].

---

(١) آل عمران : ٨.

(٢) الأعراف : ٤٣.

(٣) المائدة : ١٠٥.

(٤) الأعراف : ٥٣.

(٥) يونس : ١٠٨.

﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[1].

﴿ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ المُهْتَدِينَ ﴾[2].

اللهمّ بحقّ محمّد الأمين، وآله الطاهرين، وبحقّ القرآن الكريم ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾[3].

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين[4].

---

(١) الكهف : ١٠٤.

(٢) الأنعام : ٥٦.

(٣) الفاتحة : ٦ ـ ٧.

(٤) ألقى الكاتب الأُستاذ الفقيه السيّد العلوي دام ظلّه خلاصة هذا البحث (محاضرات إسلاميّة) في حسينية النجف الأشرف بقم المقدّسة، وفي حسينية الإمامين الجوادين عليهما السلام لأهالي الكاظمية في طهران ـ دولت آباد، وسجّلت على أشرطة الفيديو، والكاسيت يطلب من (المنتدى الحسيني) في دولت آباد ـ طهران. (الناشر)

دوائر الهدى والضلال

الفهرس

الهدى والضلال على ضوء الثقلين ٣
الهدى لغةً واصطلاحاً ٥
الهداية العامّة والخاصّة ١٧
الهداية في الأحاديث الشريفة ٢٣
نظرة في مفهوم الضلال ٣٥
الضلال لغةً واصطلاحاً ٣٥
الضلال في لسان الأخبار ٤٧
الإسلام هادم الضلالات ٥٤
دوائر التشيّع ٥٥
زيدة المخاض ٥٧
دوائر الهدى والضلال ٧٣
الفهرس ٧٤

صدر للمؤلف

١ ـ آثار الصلوات في رحاب الروايات (ج ٧ من الموسوعة)[١].
٢ ـ الإخلاص في الحجّ (الطبعة الثانية).
٣ ـ أخلاق الطبيب في الإسلام (ج ٣ من الموسوعة).
٤ ـ احكام دين اسلام (الطبعة الثانية) (فارسي).
٥ ـ الأسئلة والأجوبة عبر شبكة الانترنيت (طبع في مجلّة الكوثر وصحيفة صوت الكاظمين).
٦ ـ إشراقات نبويّة (ج ٧ من الموسوعة).
٧ ـ الإمام المهدي وطول العمر في نظرة جديدة (ج ٧ من الموسوعة).
٨ ـ الإمام الحسين في عرش الله (ج ٦ من الموسوعة).
٩ ـ امام و قيام (فارسي).
١٠ ـ الأنفاس القدسية في أسرار الزيارة الرضوية (ج ٧ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).
١١ ـ الأنوار القدسيّة (ج ٧ من الموسوعة ـ ترجم إلى الأُردو الطبعة الثانية).
١٢ ـ أهل البيت سفينة النجاة (ج ٧ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).

(١) لقد جمعت المطبوعات والمخطوطات في موسوعة كبرى (رسالات إسلامية) تضمّ مئة مجلّد طبع منها ١٣ مجلّداً والحمد لله.

١٣ ـ أوراق من العمر (من حياتي).
١٤ ـ أيّام في الثابتيّة.
١٥ ـ البارقة الحيدرية في الأسرار العلويّة (ج ٦ من الموسوعة).
١٦ ـ بهجة المؤمنين في زيارات الطيّبات والطيّبين (الطبعة الثانية).
١٧ ـ بيان المحذوف في تتمّة كتاب الأمر بالمعروف.
١٨ ـ بيوتات الكاظمية المقدّسة (ج ١٢ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).
١٩ ـ تحفة الزائرين.
٢٠ ـ تحفة فدوى يا نيايش مؤمنان (فارسي الطبعة الثانية).
٢١ ـ تربية الأُسرة على ضوء القرآن والعترة (ج ١٣ من الموسوعة).
٢٢ ـ التقيّة بين الأعلام (ج ٢ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).
٢٣ ـ التقيّة في رحاب العلمين (ج ٢ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).
٢٤ ـ التوبة والتائبون على ضوء القرآن والسنّة (ج ٤ من الموسوعة).
٢٥ ـ جلوة من ولاية أهل البيت (ج ٥ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).
٢٦ ـ الحبّ في ثورة الإمام الحسين (ج ١٢ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).
٢٧ ـ حبّ الله نماذج وصور (ج ١٢ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).
٢٨ ـ الحقّ والحقيقة بين الجبر والتفويض.
٢٩ ـ حقيقة الأدب على ضوء المذهب (ج ١٣ من الموسوعة).
٣٠ ـ حقيقة القلوب في القرآن الكريم (الطبعة الثانية).
٣١ ـ حول دائرة المعارف والموسوعة الفقهيّة (الطبعة الثانية).
٣٢ ـ خصائص القائد الإسلامي في القرآن الكريم (ج ٣ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).

٣٣ ـ الدرّ الثمين في عظمة أمير المؤمنين عليه السلام (ج ٦ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).

٣٤ ـ الدرّة البهيّة في الأسرار الفاطمية (ج ٦ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).

٣٥ ـ دروس في الأخلاق.

٣٦ ـ دروس اليقين في معرفة أُصول الدين (ج ١ من الموسوعة).

٣٧ ـ دليل السائحين إلى سورية ودمشق.

٣٨ ـ دور الأخلاق المحمّدية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية (ج ٣ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).

٣٩ ـ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي (الطبعة الثانية ـ ج ١١ من الموسوعة).

٤٠ ـ راهنماى قدم بقدم حجاج (الطبعة الثالثة) (فارسي).

٤١ ـ رسالتنا (ج ٣ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).

٤٢ ـ رسالة في العشق.

٤٣ ـ رسالة في التكليف والمكلّف (تقرير فقه استدلالي بقلم الشيخ حسين الصباح)

٤٤ ـ رفض المساومة في نشيد المقاومة (الطبعة الثانية).

٤٥ ـ الروضة البهيّة في شؤون حوزة قم العلميّة (الطبعة الثانية).

٤٦ ـ زبدة الأفكار في طهارة أونجاسة الكفّار (ج ٣ من الموسوعة).

٤٧ ـ زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ (ج ٦ من الموسوعة ـ ترجم إلى الأُردو).

٤٨ ـ سرّ الخليقة وفلسفة الحياة (الطبعة الثانية).

٤٩ ـ السرّ في آية الاعتصام (ج ٧ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).

٥٠ ـ السعيد والسعادة بين القدماء والمتأخّرين.

٥١ ـ سهام في نحر الوهابيّة (الطبعة الثانية).

٥٢ ـ شهر رمضان ربيع القرآن (ج ١١ من الموسوعة).

٥٣ ـ السيرة النبويّة في السطور العلويّة (ج ٧ من الموسوعة).

٥٤ ـ السيف الموعود في نحر اليهود (الطبعة الثانية).

٥٥ ـ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة (ج ١١ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).

٥٦ ـ الشاكري كما عرفته.

٥٧ ـ الشيطان على ضوء القرآن.

٥٨ ـ طالب العلم والسيرة الأخلاقية (ج ٣ من الموسوعة).

٥٩ ـ طلوع البدرين في ترجمة العلمين.

٦٠ ـ عبقات الأنوار في تراجم أعلام من دمشق.

٦١ ـ عصمة الحوراء زينب (الطبعة الثانية).

٦٢ ـ عقائد المؤمنين (ترجم إلى لغة الأُردو) (الطبعة الثانية).

٦٣ ـ العلوم الغريبة ماذا تعرف عنها؟ (الطبعة الثانية).

٦٤ ـ على أبواب شهر رمضان المبارك (ج ١١ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).

٦٥ ـ عليّ المرتضى نقطة باء البسملة (ج ٦ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).

٦٦ ـ فاطمة الزهراء ليلة القدر (ج ٦ من الموسوعة ـ الطبعة الثالثة).

٦٧ ـ فاطمة الزهراء سرّ الوجود (الطبعة الثانية).

٦٨ ـ فضيلة العلم والعلماء.

٦٩ ـ فقهاء الكاظمية المقدّسة، طبع في صحيفة (صوت الكاظمين).

٧٠ ـ فنّ الخطابة في سطور.

٧١ ـ في رحاب حديث الثقلين.

٧٢ ـ في رحاب الحسينيات ـ القسم الأوّل.

٧٣ ـ في رحاب الحسينيات ـ القسم الثاني.

٧٤ ـ في رحاب علم الرجال.

٧٥ ـ في رحاب وليد الكعبة (الطبعة الثانية).

٧٦ ـ قبس من أدب الأولاد (ج ١٣ من الموسوعة).

٧٧ ـ قبسات من حياة سيّدنا الأُستاذ (الطبعة الثالثة وترجم إلى الأُردو).

٧٨ ـ القرآن الكريم في ميزان الثقلين.

٧٩ ـ القصاص على ضوء القرآن والسنّة (ج ٨ ـ ٩ ـ ١٠ من الموسوعة).

٨٠ ـ القول المحمود في القانون والحدود.

٨١ ـ القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد في مجلّدين (فقه استدلالي).

٨٢ ـ كلمة التقوى في القرآن الكريم (ترجم إلى الإنجليزية) (الطبعة الثانية).

٨٣ ـ كلمة في عظمة الحجّ (طبع سنة ١٣٩٠ وكان عمر المؤلف آنذاك ١٥ سنة).

٨٤ ـ الكوكب الدرّي في حياة السيّد العلوي قدس سره.

٨٥ ـ الكوكب السماوي مقدّمة ترجمة الشيخ العوامي.

٨٦ ـ كيف أكون موفّقاً في الحياة؟ (ج ١٢ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).

٨٧ ـ لماذا الشهور القمريّة؟ (الطبعة الثانية).

٨٨ ـ لمحات عن الشعر والشعراء (الطبعة الثانية).

٨٩ ـ لمحة من حياة الإمام القائد (الطبعة الثانية).

٩٠ ـ لمعة من الأفكار في الجبر والاختيار.

٩١ ـ ماذا تعرف عن الغلوّ والغلاة؟

٩٢ ـ المأمول في تكريم ذرّية الرسول.

٩٣ ـ محاضرات في علم الأخلاق.

٩٤ ـ المعالم الأثرية في الرحلة الشامية.

٩٥ ـ معالم الصديق والصداقة في رحاب الروايات (ج ١١ من الموسوعة).

٩٦ ـ مقام الأُنس بالله (الطبعة الثانية).

٩٧ ـ من آفاق أوليّات أُصول الفقه عند السنّة والشيعة ـ القسم الأوّل ـ.

٩٨ ـ من لطائف مناسك الحجّ (الطبعة الثانية).

٩٩ ـ منهاج المؤمنين، في مجلّدين (رسالة عمليّة مطابقة لفتاوى سيّدنا الأُستاذ).

١٠٠ ـ منهل الفوائد في تتمّة الرافد.

١٠١ ـ من وحي التربية والتعليم (ج ١١ من الموسوعة).

١٠٢ ـ مواعظ ونصائح (عربي وأُردو)، طبع في مجلّة (عشاق أهل بيت).

١٠٣ ـ المؤمن مرآة المؤمن (الطبعة الثانية).

١٠٤ ـ النبوغ وسرّ النجاح في الحياة (ج ١٢ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).

١٠٥ ـ نسيم الأسحار في ترجمة سليل الأطهار.

١٠٦ ـ النفحات القدسية في تراجم أعلام الكاظمية (ج ١٢ من الموسوعة).

١٠٧ ـ الهدى والضلال على ضوء الثقلين.

١٠٨ ـ هذه هي البراءة.

١٠٩ ـ هذه هي الولاية (ج ٥ من الموسوعة).

١١٠ ـ وميض من قبسات الحقّ (ج ٦ من الموسوعة ـ الطبعة الثانية).

١١١ ـ الياقوت الثمين في بيعة العاشقين (الطبعة الثانية).

١١٢ ـ اليقظة الإنسانيّة في المفاهيم الإسلاميّة[1].

(١) توجد معظم هذه الكتب في مكتبة (الشهابيّة) لبيع الكتب بجوار ضريح آية الله العظمى السيّد النجفي المرعشي ـ قم المقدّسة ـ شارع إرم. (الناشر)